



# مصير الإنسان وفلسفة زوتشيه

- الجدل التاريخي عن المصير
- التاريخ الاجتماعي ومصير الإنسان
- الإنسان هو سيد مصيره
- وجهة النظر حول العالم ومسألة مصير الإنسان
- الذات الفاعلة للتاريخ وشق المصير
- الطريقة الأساسية لثق المصير

دار النشر باللغات الأجنبية  
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية  
١١١ زوتشيه (٢٠٢٢)

# مصير الإنسان وفلسفة زوتشيه

دار النشر باللغات الأجنبية  
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية  
١١١ زوتشيه (٢٠٢٢)

## توطئة

لا تستطيع السفينة أن تسير باستقامة على طريقها في عرض البحر دون البوصلة والمنارة، وبالمثل، لا يمكن للإنسان أيضا أن يسير دون ضوء يشره إلى طريقه طول مسير حياته غير معان للالتواءات والتقلبات. ما هو إذن ذلك الضوء الذي يشير إلى طريق شق مصير الإنسان؟ تلك هي فلسفة بالذات. بما أن الفلسفة علم يقدم للناس نظرة عامة إلى العالم، تمت بصلة وثيقة إلى مسألة المصير.

في الواقع أن ظهور الفلسفة هو بداية التفكير في مصير الإنسان. ولذلك، قال أحد الفلاسفة "دون الفلسفة، يصعب لأحد أن يعيش بأمانة دون قلق. تطرح المسائل التي تتطلب النصائح باستمرار من حين لآخر. لكن تلك النصائح لا تحصل إلا من قبل الفلسفة".

تكون مسألة المصير موضع اهتمام أكبر بالنسبة إلي كل من البلدان والأمم والأفراد. فيكون ثمة لكل بلد من البلدان مثله السياسية، الفلسفة السياسية، ويملك الأفراد أيضا آراءهم الفلسفية الخاصة بمصيرهم. لكوريا أيضا فلسفتها الخاصة بها، فلسفة زوتشيه التي تعطي أجوبة صائبة لمسألة مصير الإنسان بعد وضع الإنسان في محور الملاحظة الفلسفية.

فكرة زوتشيه التي يعتبرها الشعب الكوري كركائزه الفكرية والروحية تتخذ فلسفة زوتشيه أسسا فكرية ونظرية وأسلوبية لها.

كان تاريخ كوريا الحديث تاريخ الاستقلالية والإبداعية الذي كانت فيه

فكرة زوتشيه العظيمة تتجسد ، وسنوات محفوفة بالأحداث المدهشة  
والتغيرات الدهرية.

في واقع كوريا الحالي لبناء الدولة الاشتراكية القوية أيضا، تتجلى القوة  
الجاذبية لفكرة زوتشيه وقوتها الحيوية على مداهما.

يشرح هذا الكتاب عن المبادئ والمضامين التي أوضحتها فلسفة زوتشيه  
بالارتباط مع حياة الإنسان ومسألة مصيره، وأن جماهير الشعب في كوريا  
تكون سيد مصيرها، وتصنع التاريخ الجديد لتطورها.

## فهرس

- ٥..... الجدل التاريخي عن المصير
- ٦..... ما هو المصير؟
- ١٠..... تيارات التاريخ الإيديولوجية
- ١٥..... ظهور فكر جديد للعصر
- ٢٢..... التاريخ الاجتماعي ومصير الإنسان
- ٢٣..... أشكال الجهنم
- ٢٧..... خلافات وعداء
- ٣١..... التلاحم والتعاون
- ٣٥..... الإنسان هو سيد مصيره
- ٣٦..... أي كائن هو الإنسان؟
- ٤٣..... يمسك الإنسان بدفة المصير ويجذف مجداف المصير
- ٤٨..... وجهة النظر حول العالم ومسألة مصير الإنسان
- ٤٩..... الآراء السابقة إلى العالم
- ٥٣..... العالم المنظور إليه بوضع الإنسان في الصدارة
- ٦٠..... النظرة إلى العالم والموقف منه

- ٦٦ ..... الذات الفاعلة للتاريخ و شق المصير
- ٦٧ ..... جماهير الشعب كائن أكثر قوة
- إن الاستقلالية هي طريق التاريخ
- ٧٢ ..... الاجتماعي التي لا تتغير
- ٧٧ ..... التاريخ الاجتماعي هو تاريخ إبداع جماهير الشعب
- ٨٥ ..... الطريقة الأساسية لشق المصير
- ٨٦ ..... ينبغي الالتزام بالموقف المستقل
- ٩٠ ..... يجب التمسك بالموقف الخلاق
- ٩٥ ..... ينبغي التمسك بالفكر كأساس
- ١٠٠ ..... الختام

# الجدال التاريخي عن المصير

كان التفكير والاستقصاء لمصير الإنسان قد ابتدأ مع تاريخ البشرية. في سياق استقصاء وشق طريق المصير، خلق الإنسان تاريخ البشرية ومضى في تطويره. تاريخ البشرية المليء بالتقلبات الكثيرة سار جنباً إلى جنب مع تفكير الإنسان واستقصائه لمصيره، الذي جرى في الاتجاهات المتنوعة معانياً للمحن القاسية.

أساليب "حسن الحظ" التي تم استقصاؤها في خضم المحن انتشرت في المجتمع المعني فكره الفلسفي بعد التزود بالصورة النظرية التي تدل على "صحتها". تلقى الناس تأثيرات مختلفة من فيض الآراء والدعاوي المتنوعة منذ ولادتهم، واختاروا إحداها أو أخذوها بعد توفيق بعضها لاتخاذها كعقيدة لهم. طبعاً إنه لم يكن من الأمور السهلة إطلاقاً أن يختار أو يتقبل الإنسان فكراً صحيحاً يخص به.

يدل على ذلك تاريخ السنوات الماضية حيث عانى عدد كبير من الناس نكبات وتقلبات وإخفاقات وشقاءات. كان تاريخ الماضي الحافل بالمخاطر والمحن هو بالذات مسيرة تضارب الآراء المتنوعة في مصير الإنسان.

## ما هو المصير؟

ربما تكون مسألة المصير أكثر ما يتداول في حديث الناس أثناء حياتهم. يعني ذلك أن مسألة المصير هي أكبر مواضيع اهتمام الناس. ذلك لأن الهدف الرئيسي لكل نشاطات الإنسان المعرفية والعملية هو شق مصيره.

يفكر الإنسان كائنا من كان في مصيره، ويرجو أن يشق مصيره دون عثرات.

تتعلق كل تفكيرات الإنسان وأفعاله بمصيره. طبعاً إن تفكيراته وأفعاله المشخصة قد تؤثر تأثيراً مختلفاً في المصير، لكن كلها تتعلق بالمصير.

إن النقطة المشتركة في الأحاديث المتنوعة عن مصير شخص معني أو مصير الآخرين هي أن مسألة وضعهم الاجتماعي تكون موضوعاً رئيسياً.

إذ أن المضمون الرئيسي لتلك الأحاديث عن المصير هو قصص متنوعة متعلقة بالوضع الاجتماعي مثل السوابق الماضية التي أسفرت عن الوضع الاجتماعي الحالي، ومسار تغير الوضع الاجتماعي، وآفاق تغييره.

بهذا المعنى، يمكن القول إن شق مصير الإنسان عبارة عن تحسين حالة حياته بالذات.

يرغب الإنسان كائنا من كان في العيش بفخر وبسعادة، فيما هو يحقق مطالب حياته بملء رغبته.



سياق شق مصير الإنسان هو المضي في تحسين حالته في المسعى إلى سعادة أكبر.

إلا أن مصير جميع الناس في الدنيا ليس على هذا المسار. يكون ثمة في الدنيا من عانوا شقاء وآلاما منذ ولادتهم، ومن تمتعوا بالسعادة والفرح، ومن عاشوا حياة متشابكة بالنوعين من الحياة. كما يكون ثمة من يأكلون خبز التبطل والكسل طول أعمارهم، ومن عملوا باجتهاد طول حياتهم، ومن عملوا أعمالا شريرة والآخرين الذين عملوا أعمالا طيبة طول عمرهم.

دعونا نأخذ مثالا على ذلك في حياة كيم سي سوب (١٤٣٥ - ١٤٩٣) أبرز كاتب وعالم كوري في القرن الخامس عشر. منذ طفولته، ذاع صيته بطفل عبقرى موهوب بحسن نظم الأشعار، فهنا والداه والآخرين بمستقبله الزاهر، لكن طول حياته لم تكن هينة أبدا.

لسوء الحظ، فقد أمه التي كانت تحبه وتقوده في ذلك العام الذي بلغ عمره فيه خمسة عشر.

وأثناء توليه منصبا حكوميا، في عام ١٤٥٥، حدث أن انتزع سو يانغ داىكون (١٤٥٥ - ١٤٦٨) منصب الملك من ابن أخيه الملك دانجونغ (١٤٥٣ - ١٤٥٥)، وسخطا لذلك، تخلى كيم سي سوب عن منصبه، ولبس ثوب الراهب البوذي، وعاش حياة التجوال طول عمره.

قد تزوج بعد تجاوز أربعين سنة من عمره، لكن حياته الزوجية أيضا لم تكن سعيدة علي الاطلاق، إذ أن زوجته طيبة القلب فارقت الدنيا مبكرة دون أن تترك ولدا واحدا، حتى عاد كيم سي سوب

يسلك طريق التجوال، وأنهى حياته البغيضة أثناء تجواله المعذب في أنحاء البلد.

هكذا، يكون مسار حياة الناس متنوعا جدا، وليس هينا إطلاقا. يكون ذلك بالغ التعقيد مثل الدرب الذي يكون إما مستويا ومستقيما وإما ملتويا وإما واسعا وإما ضيقا، وإما صاعدا وإما نازلا. ولكن إذا أمعنا النظر في مختلف أنواع مصير الناس، فنجد فيها قانونا معيناً.

سقوط الشيء على الأرض حتما عند رميه إلى الأعلى منطلق حتمي للأشياء والظواهر التي يعمل فيها قانون الجاذبية.

في سياق تغير مصير الإنسان أيضا، يعمل قانون أصيل. يعيش الإنسان في الظروف والأوضاع المعينة، ويشق مصيره. إذا نشأت الظروف المعينة، فإن قانون المصير يعمل حتما بموجبها، ويعيش ويتطور الإنسان بما يتلاءم مع متطلبات ذلك القانون. لكن ذلك لا يعني إطلاقا أن الإنسان يتقبل سلبيا أي مسار حتمي، حتى يلاقي في النهاية نتيجة موفرة في السابق.

في الأيام الماضية، ظن عدد كبير من الناس أن شقاءهم حتمي لا مفر منه، والتمتع بالمتعة أم الآلام قدر محتوم لكل فلان.

إن القدر الذي يقولونه يعني أن مصير الإنسان يجري حتميا على المسار المحتوم مسبقا إن شاء المرء أو أبي ذلك.

طبعاً إن معاناة الناس الطيبين شقاء في المجتمع الجائر البالي ظاهرة حتمية وأحد القوانين.

ولكن لا يجوز اعتبار كل ذلك بسبب القدر المحتوم الذي لا يمكن تغييره أبدا بقوة الإنسان.

لا بد من المعرفة بوجود المسار الحتمي لتصفية البيئة الفذرة بنظافة  
والفوز بالسعادة أيضا.

إن المسألة وقف على كيفية جهد الإنسان نفسه.

يكون ثمة سبيل حتمي ممتد إلى السعادة.

أهم شيء هو كيفية سلوكه.

إذا سار عليه المرء بخطى سريعة، فإن السعادة تتعجل بنفس القدر.

وإذا سار بخطى بطيئة، فإنها تتأخر بنفس القدر، وإذا وقف المرء في

مكانه، أو عاد إلى الوراء، فإنه لن يلاقي السعادة إلى الأبد.

وإذا اختار المرء طريق شق المصير بصواب، وركض وركض

بعناد متغلبا على العقبات الموضوععة على الطريق فإنه يستطيع أن

يحقق مثله العليا.

طبعاً إن ذلك مستحيل بوحده.

كي يسلك المرء تلك الطريق غير الهينة حتى النهاية، لا بد من

توحيد القوى.

إن المنطق الحتمي لشق المصير هو أن تل الأمجاد والازدهار يمكن

صعوده عند توطيد التلاحم والتعاون الاجتماعيين، مع مواصلة إنماء

قوة الحكم الصائب والذكاء الرفيع والإرادة الصلبة.

مصير الإنسان الذي بينه التاريخ هو أن الإنسان يتواصل تغيير

نفسه، فيما هو يتغلب بجرأة على مختلف أنواع المحن والصعاب، وفقا

لذلك المنطق.

## تيارات التاريخ الإيديولوجية

ما هي الآراء الماضية التي كانت تتحكم بمصير الناس وما هي إشكالياتها؟

لا بد لنا أن نعرفها حتما، ليس لامتلاك مفهوم عن تاريخ الماضي وحده بل لاستخلاص التجارب والدروس من مصير الناس المنكوبين. لا يجوز تكرار الدروس، وينبغي الاعتزاز بالتجارب. إلى جانب الفكرة القائلة بأن "المصير مقدر"، كانت الفكرة الأخرى تتحكم بمصير الإنسان لقرون طويلة.

تلك هي اتجاه إيلاء الأهمية على هذه الدنيا لا الدنيا الأخرى المجهولة، وعلى الحياة، لا الموت، غير مبال بالشؤون بعد الموت جنة أم جهنما.

بما يعكس لتطلعات ومطالب الناس الذين يهتمون بحياة الواقع، برزت الأفكار الاجتماعية والسياسية التي تشير إلى طرق شق المصير الجديدة، وغطت المجتمع لمدة طويلة نزاعات قبولها.

وكان الأبرز منها أمل "للسياسة الفاضلة". يعني هذا الرأي بعبارة واحدة أنه يجب على "الملك الفاضل" أن ينتهج سياسة.

مصير الإنسان يتم شفه من خلال الحياة، وتتواجد الحياة في الواقع. أكثر ما يؤثر تأثيرا كبيرا في الواقع الذي يعيشه الناس هو السياسة. يتعلق ذلك بالدور الهام الذي تؤديه السياسة في الحياة الاجتماعية.

تترك السياسة أثرا أكبر في حياة الناس ومصيرهم.

حسب نوعية السياسة تتغير حالة الناس بدرجة كبيرة، وتتحول مسألة مصير الإنسان تحولا جذريا.

إن الناس الذين تعرضوا لكل أنواع الإهانة والاحتقار الإنسانيين في ظل سياسة المجتمع البالي في الأيام الماضية كانوا يظلمون السياسة الفاضلة.

كان العيش في ظل السياسة الفاضلة رجاء للناس الكثيرين الذين يفضلون الواقع على الدنيا الأخرى.

كانوا يتمنون أن يحمل الملك والوزراء وحتى جميع الموظفين الحكوميين في قراهم قلوبا "طيبة".

كان رجاء الناس "للسياسة الفاضلة" في الأيام الماضية أمنية لا يمكن الاستخفاف بها.

لكن رجاءهم هذا لإيجاد الحلول لمصيرهم أسفر عن الكثير من الأفكار الاجتماعية والسياسية عن "السياسة الفاضلة".

رجاء الناس "للسياسة الفاضلة" انعكس على الأفكار الاجتماعية والسياسية في كوريا أيضا، وأتى بأثر كبير في الحياة الاجتماعية.

ظنوا أن حالتهم البائسة تعزي إلى طماعة الموظفين الأفراد وطباعهم البغيض وسعوا كل السعي لإرجاع عقلهم ومشاعرهم.

فقد قدموا لهم شكواهم حيناً، وحيناً آخر، أعدوا كميات ضخمة من الهبات المقدمة "للحاكم" الجديد الذي يجيء إلى قراهم.

وإذا اختزن سخطهم وحنقهم، وثبت لهم أن "تواطؤهم العقلي" صار مستحيلا، فقد أثاروا انتفاضة.

إذ أنهم ظنوا أن إقصاء "الحاكم" الشرير قد يعطيهم الإمكانية من استقبال "الحاكم" الطيب.

وفي بعض الأحوال، قدموا للملك "عرائضهم" المطالبة بإنزال العقوبة للحاكم الشرير ومنح الخير لعامة الناس البائسين. لكن لقاء "عرائضهم" كان وضع أعناقهم على المقصلة.

و رغم أن الناس رجوا منذ زمن بعيد بلهفة ظهور "رجل فاضل"، ومنح لهم خيرا، لكن الحكام المتعاقبين أصدروا حكما بالإعدام على الناس دون أدنى رحمة أو شفقة.

كان جميع الحكام المتعاقبين طغاة دون استثناء رغم بعض الفروق في الدرجة.

لم يكن يولد ولم يستطع أن يولد رجل فاضل ينتهج "السياسة الفاضلة" في المجتمع البالي.

في ذلك المجتمع الذي يتواجد فيه استغلال واضطهاد الإنسان للإنسان، كان من المستحيل أن يتواجد "ملك فاضل" أو "موظفون فاضلون" ولا "سياسة فاضلة".

وفي النهاية، كان رجاء الناس "السياسة الفاضلة" في الأيام الماضية وهما من أو هام الأحلام.

فقط عند بناء العالم الذي يصبح فيه الشعب سيدا له، يمكن تحول علاقات الناس إلى علاقات المحبة والثقة بينهم، وستولد سياسة للشعب.

على مدى التاريخ الطويل، بدأ الناس يستقصون طريقا جديدا لشق المصير. في سياق ذلك، ظهرت الماركسية إلي الوجود و طرحت راية جديدة لجماهير الشعب العامل من قبلها "اتحدوا، أيها الطبقة العاملة في العالم كله!".

أوضحت الماركسية أن تحرير الإنسان لا يمكن تحقيقه بقوة الفرد وحده، بل يمكن تصفية استغلال واضطهاد الإنسان للإنسان وتحقيق

حريته ومساواته الحقيقية بقوة الطبقة العاملة المتحدة جماعيا.  
إن العمال الذين ظهروا مع إقامة النظام الرأسمالي كانوا معدمين من  
أدنى الفئات يعانون أزمة الحياة مقيدين بقيد الرأسمالية.  
في البداية، ظن العمال أنهم صاروا مجبرين على أقسى عمل  
ويعانون بطالة وفقرا بسبب ظهور الآلات والمصانع، وبالتالي، شنوا  
حركة تخريب الآلات والمصانع.  
إذ أن ظهور الآلات والمصانع أتى في الأحوال الكثيرة بالنتائج  
الوخيمة. كلما ظهرت آلات جديدة، حصلت بطالة وفقر.  
في البلدان الرأسمالية التي تفيض فيها دائما الأيدي العاملة، كان  
فقدان العمل أكبر كوارث العمال العزل.  
بعد أن فكر العمال أن عشر العمال يفصلون عن العمل بسبب ظهور  
الآلة التي تستعيز عن عشرة العمال، بدؤوا بتخريب الآلات  
والمصانع.  
لكن الآلات ازدادت عددا، وارتفعت جودتها أيضا، بحيث صارت  
البطالة والفقر تضرب رقما قياسيا باستمرار. كان لا بد للعمال من أن  
يجدوا أسلوبا آخر لتحسين وضعهم.  
ومن هنا، ظن العمال أنهم يستطيعون أن يحسنوا وضعهم بطريقة  
تقديم "العرائض"، وشنوا الحركة الوثائقية بشكل تقديم "العرائض"  
للبرلمان. وعلى الرغم من تخريب الآلات وتقديم "العرائض"، لم  
تتحسن أحوال الناس.

ومن هنا، دعا الماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) إلى اتحاد العمال  
طالما أن أحوال العمال في مختلف البلدان وتطلعاتهم موحدة،  
وأعداءهم متواطئون دوليا. أي أن حالة الطبقة العاملة دولية، لا

قومية، وأعداءهم الطبقيون أيضا دوليون وظروف تحرير أنفسهم أيضا دولية.

قدمت الماركسية شعار "اتحدوا، أيها الطبقة العاملة في العالم كله!"، قائلة إنه إذا وقف العمال المتحدون في مقدمة الآخرين لدفن المجتمع البالي في التراب بواسطة العنف الثوري، فسيخسرون الأغلال ويربحون العالم كله.

هذه الرؤية التي رفعتها الماركسية أدت دورا هاما في استنهاض البروليتاريين الذين يرزحون تحت نير المصير البائس، بعد التغلب علي الصوفية والجبرية.

انتشرت الماركسية بسرعة في العالم كله، ومنحت للناس البائسين المجتهدين أملا وجرأة للإمكانيات من اختيار المصير الجديد. وسط تيار التاريخ هذا، دوى صوت مدفع الطراد "أبرورا" في روسيا عام ١٩١٧، أي انفجرت ثورة أكتوبر الاشتراكية.

أعلم صوت هذا المدفع طريق إنقاذ المصير، طريق التحرير، طريقة النضال الجديدة للبشرية.

وعلى ذلك، صارت الماركسية اللينينية تيارا معترفا به في ذلك العصر، أنجب المصير الجديد للإنسان بعد تدمير اضطهاد الإمبريالية. ولكن رغم توفر أسس الاشتراكية، لم يكن يقضي تماما على كل العوامل التي تقيد مصير الانسان.

إذ أن رواسب المجتمع القديم التي تقيد مصير الانسان ظلت متواجدة هنا وهناك في الطبيعة والمجتمع.

فلا بد من مواصلة الثورة بخوض النضال المطرد الرامي إلى إعادة تحويل الطبيعة والمجتمع والإنسان نفسه على نحو مستقل وخلاق، بغية



حل مسألة مصير الإنسان كلياً وتاماً.  
إلا أن الناس في ذلك العصر، الذين استقبلوا أجواء متصاعدة للثورة  
الاشتراكية لم يفكروا في ذلك.  
تقدم التاريخ إلى الأمام، وصارت الماركسية اللينينية تياراً فكرياً  
ماضياً.

## ظهور فكر جديد للعصر

إذا تبدلت البيئة وتغير العصر، فإن مسألة مصير الإنسان أيضاً  
تظهر حتماً في صورة جديدة.  
ولذلك، يمكن القول إن فترة تبدل العصر هي نقطة تحول مصير  
الإنسان.

إن ظهور العصر الجديد يتطلب فكر العصر الجديد. ولكن الفكر  
العظيم الذي يوضح طريق تقدم العصر لا يصدره أي شخص، ما عدا  
الزعيم العظيم الذي يدرك بصواب متطلبات العصر الجديد ويعطي  
حلولاً شاملة لها.

إن الحزب الدولي الثالث كومنترن الذي تم تأسيسه عام ١٩١٩ أنهى  
وجوده باختيار ذاته في عام ١٩٤٣. كان الكومنترن يهدف إلى الدفاع  
عن مكتسبات ثورة أكتوبر الاشتراكية وتوسيعها على نطاق العالم. إذا  
أنهى الكومنترن وجوده فذلك لأن أسلوب النضال الجاري بقيادة المركز  
الدولي فقد قدرته الحياتية. كان ذلك يعني قدوم عصر جديد يختلف  
اختلافاً تاماً عن العصر السابق. إذ أن نضالات جماهير الشعوب  
الساعية إلى العيش والتطور كسيد مصيرها في أواخر العقد الثاني

وأوائل العقد الثالث من القرن الماضي كانت تجري رحاها بعناد وبالطبيعة المتنوعة في مختلف الظروف والبيئة.

فمن جهة، دار النضال التحرري الطبقي لإنهاء السيطرة والعبودية الطبقية، ومن جهة أخرى، دار النضال التحرري الوطني للتخلص من الحكم الاستعماري والنهب للإمبرياليين.

كانت كوريا الدولة المتخلفة شبه الإقطاعية في ظل الاحتلال العسكري للإمبرياليين اليابانيين (١٩٠٥ - ١٩٤٥) منطقة حرارية جرى فيها كلا الشكلين من نضال التحرر الطبقي ونضال التحرر الوطني. كانت الانتفاضة الشعبية التي نشبت في يوم الأول من آذار/ مارس عام ١٩١٩ انفجار السخط والحقد الدفين في قلوب الأمة الكورية التي كانت تعاني كل أنواع الإهانة والحيث في ظل حكم الإمبريالية اليابانية، وبمناسبة هذه الانتفاضة، دخل نضال الشعب الكوري للتحرر الوطني إلى مرحلة جديدة بالتدرج.

وراحت حركات الجماهير مثل حركة العمال وحركة الفلاحين التي كانت تميل إلى جانب النضال الاقتصادي وحده تتطور بالتدرج متصفة بطبيعة الانتفاضة.

إن جريان نضال الشعب الكوري لشق مصيره بالنضال التنظيمي المتنوع الشديد كان يشير بوضوح إلى اقتراب انتهاء عصر خضوع الإنسان لمصيره المتاح، عصر الاستغلال والاضطهاد الذي يتلاعب بمصير الإنسان، وفي الوقت ذاته، قدوم العصر الجديد الذي تمسك فيه جماهير الشعب العامل بمصيرها في يدها وتشقه حسب إرادتها ومطلبها بعد ما كانت مقيدة بمختلف أنواع القيود الاجتماعية عبر التاريخ.

كان هذا العصر الجديد هو عصر الاستقلالية الذي تصبح فيه جماهير الشعب سيدا للتاريخ ومصيرها، وتشق التاريخ ومصيرها على نحو مستقل وخلاق.

تطلب العصر الجديد الذي ظهرت فيها جماهير الشعب الغفيرة كسيد مصيرها فكرا ونظرية جديدة.

لقد سأل الزعيم العظيم كيم إيل سونغ في أيام إقامته في جيلين (١٩٢٧ - ١٩٣٠) التي كان فيها يستقصي الفكر التقدمي لباك سو سيم (انضم في الفترة اللاحقة إلى اتحاد الشباب المناهض للإمبريالية واتحاد الشباب الشيوعي الكوري) الذي قيل إنه استوعب الكتب الرئيسية بقلم ماركس ولينين على وجه التقريب قائلا إن الكتب الماركسية اللينينية الكلاسيكية تشير إلى أن التحرر الطبقي أولا ثم التحرر الوطني ولكن في بلادنا لا يمكن تحرير العمال والفلاحين طبقيا دون تحرير البلاد من نير الإمبرياليين اليابانيين، أليس كذلك.

وأعاد سؤاله قائلا إن الكتب الكلاسيكية تنوه عامة بالثورة في البلد الاستعماري السيد وأهمية انتصارها فقط مشيرة إلى الصلة العضوية ما بين الثورة في هذا البلد السيد والثورة في المستعمرات، وذلك يعني إذن، أنه لا يمكن استقلال بلادنا قبل انتصار الطبقة العاملة في اليابان في ثورة بلدها، ويجب علينا أن نبقي جالسين حتى انتصارها.

عندئذ، أجاب باك سو سيم أن وضع التحرر الطبقي قبل التحرر الوطني وإيلاء الأهمية للانتصار في ثورة البلد السيد على نضال التحرر الوطني في المستعمرات هما مسألة خط الحركة الشيوعية الدولية المعترف به في العالم.

قال الزعيم العظيم كيم إيل سونغ متذكرا تلك الفترة:

"إن أكبر مشقة كنا، أنا ورفاقي، نعانيها في دراسة الأفكار الماركسية اللينينية المتقدمة في ذلك الحين كانت هي الاختلافات في واقع كوريا عما كان عليه الوضع في روسيا عند اندلاع ثورة أكتوبر، وذلك لأننا كنا نريد أن نقوم بالثورة كما قام الروس بها من أجل تغيير المجتمع وتحرير البلاد.

واجهتنا مسائل معقدة مثل: كيف يمكننا إنجاز الثورة البروليتارية في مستعمرة وبلاد متخلفة وشبه إقطاعية مثل كوريا؟ وكيف نقيم العلاقات الثورية مع الصين والبلدان المجاورة الأخرى في ظل ظروف تضطرنا إلى خوض النضال من الأراضي الصينية، بعيدا عن وطننا بسبب قمع الإمبريالية اليابانية الوحشي؟ وكيف يمكننا إنجاز الواجب الوطني الذي تطرحه علينا الثورة الكورية والواجب الأممي حيال الثورة العالمية؟

والى أن أوجدنا حلا صحيحا لتلك المسائل، كان علينا أن نهدر وقتنا طويلا وأن نعاني تضحيات مؤلمة."

كان العصر الجديد يتطلب حل كل المسائل الناشئة في شق المصير للبلد والأمة والإنسان بالرؤية والمعيار الجديدين والتجديدين. تعني هذه الرؤية والمعيار وجهة النظر والمواقف التي ترى وتعامل كل الأشياء انطلاقا من مصالح شعب البلد المعني والوضع المشخص لذلك البلد.

دروس التاريخ هي أن الإخفاقات لا مفر منها، عند القصور في إثبات الرؤية والمعيار اللذين يتطلبهما العصر الجديد نتيجة للانهماك في التبعية للدول الكبيرة والجمود العقائدي.

كانت جماهير الشعب العامل في العصور الماضية تعيش حياة بائسة

بعد أن صارت موضع السيطرة والعبودية والاستغلال والاضطهاد.  
كان هذا المصير يتكرر ليس في جيل الأبوين فقط، بل حتى في  
أجيال الأبناء والأحفاد أيضا.  
لكنهم لم يفكروا في تغيير وضعهم جذريا. في نهاية المطاف، لم يكن  
المصير ملكا لأنفسهم.

إلا أن التحول الدرامي حدث في مسألة مصير الإنسان في عصر  
الاستقلالية. وقعت حادثة تاريخية يولد فيها فكر جديد وهو سلاح مقتدر  
يجعل الإنسان يمسك بمصيره في يده ويقرره.

في أيام القيام بالنشاطات الثورية الأولية، اكتشف الزعيم العظيم  
الناقصين في نضال التحرر الوطني الكوري فيما مضى.

إحدهما هي أن بعض الناس في الفئة العليا كانوا يقضون الأيام  
بالأقوال الفارغة والنزاع على السلطة بعيدين عن الجماهير، والأخرى  
هي الميل إلى تحقيق إستقلالية البلاد بالاعتماد علي القوي الخارجية،  
منهمكين في النزاعات الفئوية فقط.

حلل الزعيم العظيم هذه النقائص الجوهرية في الحركة القومية  
والحركة الشيوعية الأولية في كوريا، وعلى أساس ذلك، اكتشف حقيقة  
جديدة أن صاحب الثورة هو جماهير الشعب ولا يمكن انتصار الثورة  
إلا بتربيتهم واستنهاضهم بعد دخول اوساطهم، وإن الثورة يجب صنعها  
علي مسؤوليتهم وحسب إيمانهم، وكل المسائل المعروضة في الثورة  
يجب حلها على نحو مستقل وخلق.

كان ذلك أدي إلي خلق مناسبة تاريخية أنت بالإعلان عن إبداع  
الفكر الهادي الجديد في عصر الاستقلالية، فكرة زوتشيه في اجتماع  
كارون المنعقد في حزيران/ يونيو عام ١٩٣٠.

كان إبداع فكرة زوتشيه حدثاً تاريخياً زرعت الوعي للاستقلالية والنظرة إلى اعتبار الاستقلالية كروح الحياة في قلوب الشعب الكوري. فكرة زوتشيه مذهب ثوري يجعل الناس أسيادا للعالم ومصير أنفسهم ويوضح طريق شق مصير الإنسان، وذلك بإعادة تحويل الطبيعة والمجتمع والإنسان تماما بما يتلاءم مع طبيعة الإنسان الاجتماعية للعيش والتطور باستقلالية.

أوضحت فكرة زوتشيه أن الإنسان يتطلب الحقوق المستقلة، والاستقلالية هي طبيعة الإنسان التي لا يمكن لأحد أن يقيدتها، من خلال صور جماهير الشعب التي تهب واقفة بعد تفجير حقد المتراكم على الاحتقار الإنساني.

بفضل فكرة زوتشيه، استطاع الشعب الكوري أن يدرك أن مسألة مصيرهم هي مسألة الاستقلالية بالذات.

أبرزت فكرة زوتشيه جماهير الشعب التي تعرضت للاحتقار والنبذ الإنساني لقرون طويلة كأقوى كائنات في الدنيا، وأثبتت نظرة وموقفاً جديداً من تطور التاريخ والثورة الاجتماعية باتخاذ جماهير الشعب محورا لهما.

بعد أن عاشت جماهير الشعب دون أن تعرف أنفسها لقرون طويلة، صارت تدرك بنفسها، بفضل فكرة زوتشيه مكانتها ودورها بكونها صانع التاريخ، وانطلقت في الطريق المستقيم لشق مصيرها.

أخيراً، فتح تاريخ جديد حيث تقوم جماهير الشعب بتطوير المجتمع بنضالهم الخلاق الواعي والهادف واقفة بثبات في صدارة التاريخ، وتشق مصيرها بمبادرة منها.

فكرة زوتشيه تم تجسيدها بروعة في الثورة الكورية، وبذلك، أتت

بانتصار عظيم.  
تقدم الشعب الكوري إلى الأمام رافعا عاليا راية الاستقلالية، راية  
زوتشيه، حتى استطاع أن يشق طريق النضال الشاق بانتصار، بعد  
التغلب على الصعاب والمحن الجمة.  
على الطريق التاريخي الذي أوضحتها فكرة زوتشيه، شقت الثورة  
الكورية أصح طريق للتحرر الوطني في المستعمرة، وحلت كل  
المسائل الناشئة في الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكي علي نحو  
مستقل وخلاق، بحيث ارتادت بانتصار الطريق غير المطروقة لشق  
مصير جماهير الشعب.

# التاريخ الاجتماعي ومصير الإنسان

يمكن القول إن ولادة الإنسان في الأرض كانت أكثر أهمية في تاريخ الكرة الأرضية العائد إلى عدة مليارات السنين. شكل الإنسان جماعة تسمى بالمجتمع انطلاقاً من طلب شق مصيره، بينما منحه المجتمع الخصائص الاجتماعية.

دون تشكيل المجتمع، استحال وجود البشر اليوم، وبأدق تعبير كان من المحال ولادة الإنسان، الكائن الاجتماعي الناطق كما نراه اليوم. كان تشكيل المجتمع شرطاً أساسياً أتاح للإنسان أن يملك استقلالية وإبداعية ووعياً.

الإنسان كائن اجتماعي لا يمكن العيش بمنأى عن المجتمع، ولكن، ما كان أن لبت كل المجتمعات الموجودة في التاريخ مطالب الناس من مختلف الأوساط. في المجتمع الاستغلالي القديم خاصة، انتهكت المطالب المستقلة لجماهير الشعب العامل دون رحمة.

يقال إن المرء لا يعرف بركته كما ينبغي وسط البركة. إذا أراد المرء أن يعرف قيمة سعادته، فمن واجبه أن يعرف شقاء الآخرين ومصائبهم، ولهذا الغرض، يجب عليه أن يعرف تاريخ بؤساء المصير.

كان تاريخ الإنسان هو تاريخ تطور الإنسان نفسه بكونه مسيطر هذا العالم ومحوله وفي الوقت ذاته تاريخ النضال ضد التحديات والصعاب الشاقة التي تهدد الإنسان باستمرار.

كان نضال الإنسان لشق مصيره مسيرة طويلة حقاً وفعالاً.



## أشكال الجهنم

ليس من السهل إدراك تاريخ الماضي السحيق. لأن الأمور الماضية لم يرها أحد و لم يختبرها، وكان من المحال إعادة تمثيلها تفصيلاً حتى بالوسائل الحديثة الحالية.

ينطبق ذلك أكثر كلما نعود أكثر إلى عهد الفجر لمجتمع البشرية. ولكن الناس في حقبة مجتمع الرق أيضا خلفوا آثارهم في الوراثة، رغم أنها لم تكن واضحة بمثل ما في العصور الوسطى والحديثة. يمكننا أن نحزر مصير الإنسان في مجتمع الرق القائم في العهود السحيقة بواسطة مختلف المعلومات.

وفيما يلي جانب من جوانب حياة الناس نراه من خلال القانون المكتوب السائد في كوريا الغابرة وهو أحد النتائج السياسية للتقسيم الطبقي.

لم تبق حتى الآن إلا ثلاثة البنود فقط من "شرائع البنود الثمانية لمعاقبة الجرائم".

يشير أحد البنود منها إلى إصدار الحكم بالإعدام لمن قتل الآخر. في الظاهر أن هذا البند إيجابي ولا يمكن التفكير في اكتتافه بالمضمون الجائر.

ولكن يمكن المعرفة الجيدة بالطابع غير الشعبي إذا أمعنا النظر في خباياه.

إذ أن البند الذي يشير إلى إصدار الحكم بالإعدام لمن قتل الآخر ينطبق على العبيد وغيرهم من الطبقة غير الحاكمة في مجتمع الرق.

كان العبيد في مجتمع الرق ملكا تماما لأصحاب الرقيق. كان من الممكن أن يبيع ويشترى صاحب الرقيق عبيده كما يشاء مثل البضائع. كان من الحرم أن يحمل العبيد أسماءهم ويشكلوا أسرهم وكان من واجبهم أن يعيشوا في مسكن جماعي مشترك. إذا ولد وليد أثناء حياة العبيد المشتركة، اعتبره صاحب الرقيق "سلعة" يمكن بيعها وشراؤها أو "شيئا تذكاريًا" يمكن إعطاؤه للآخرين.

بما أن أصحاب الرقيق يعتبرون عبيدهم "كبهائم" مثل البقر والخيول أو "أدوات ناطقة" كان من الممكن أن يقتلهم كما يشاءون، وإذا مات صاحب الرقيق، كان من المعتاد أن يدفن عبيده أيضا أحياء مع الأشياء التي كان يستخدمها أثناء الحياة.

أما الناس الذين تنص "شرائع البنود الثمانية لمعاقبة الجرائم" على عدم قتلهم فهم كانوا أصحاب الرقيق.

خوفا من تعرضهم للقتل من قبل مقاومة العبيد ونضالهم، حدد أصحاب الرقيق قواعد العقوبات الصارمة وطبقوها.

وفي بويو ثاني أكبر دولة الرق بعد كوريا الغابرة أيضا، كانت مادة قانونية تنص على أن من قتل شخصا آخر يعاقب بالإعدام وأفراد عائلته يتحولون إلى عبيد.

وهنا أيضا كان من يحرم قتله ومن يعاقب بالإعدام هم مثل في كوريا الغابرة.

وكان البندان الآخرا في "شرائع البنود الثمانية لمعاقبة الجرائم" المعروفان حتى الآن ينصان على أن من ألحق جرحا بالآخر يتعين عليه أن يوفي ثمن ذلك بالحبوب ومن سرق أمتعة الآخر يتوجب عليه

أن يتحول إلى عبده أو يدفع مبالغ طائلة من الأموال لقاء ذلك.  
وهنا كان من لهم حرمة إلحاق الجراح بهم أيضا أصحاب الرقيق.  
كان نفس الشيء ينطبق على كل مجتمعات الرق القائمة في أنحاء  
العالم أيضا.

كانت قيمة العبيد في مجتمع الرق، أول المجتمع الطبقي في تاريخ  
البشرية أدنى من البهائم حقا وفعلا.  
وإذا كان ثمة شيء مختلف هو أنهم ناطقون.

فإنهم أثاروا انتفاضة بعد تفجير حنقهم وحقدهم الدفين في قلوبهم،  
وأظهروا بنضالهم أنهم أيضا بنو البشر، وهددوا وجود نظام مجتمع  
الرق.

رغم أن انتفاضتهم تعرضت للإخفاقات كل مرة، لكنها صارت  
عاملا حاسما لتفكيك أول جهنم فظيع في تاريخ البشر وانتقاله إلى  
المجتمع الإقطاعي. هكذا، انهيار أخيرا مجتمع الرق الذي كان باقيا  
لآلاف السنين.

ولكن في المجتمع الجديد أيضا، لم يكن بوسع أحلام الشعب أن  
تتحقق. إذ أن القيود الأخرى كانت تقيد بهم بعدة الأضعاف.

كان المجتمع الإقطاعي الذي ظهر جديدا بدلا من مجتمع الرق  
هو مجتمع اضطهاد الإنسان من خلال نظام المراكز الاجتماعية  
بقصارى القول.

صنعت الطبقة الحاكمة في المجتمع الإقطاعي مثل الملك وغيره من  
النبلاء الإقطاعيين نظام المراكز الاجتماعية بغية حفظ سيطرتهم  
السياسية ومواصلتها جيلا بعد جيل واضطهاد واستغلال الطبقة غير  
الحاكمة إلى الأبد.

صنفت طبقة الحكم الإقطاعي جميع الناس إلى مختلف الفئات حسب سلسلة نسبهم، ووضعت حدود الحقوق والواجب حسب درجات تلك الفئات، وجعلت نفس درجات المراكز الاجتماعية تورث حتى إلى الأجيال القادمة فضلا عن أصحاب الشأن.

حسب نظام المراكز الاجتماعية المتوارثة جيلا بعد جيل، كان بعض الناس يتمتعون بالترف والبدخ منذ ولادتهم حتى موتهم، بينما كان الآخرون يعانون الحيف والاحتقار طول حياتهم.

في ظل المجتمع الإقطاعي الذي يسوده نظام المراكز الاجتماعية، كان مصير الإنسان يوضع في أدنى ورطة لا مفر منها ولا تغييره.

كان نظام المراكز الاجتماعية قيودا إقطاعية تعوض عن السلاسل الحديدية التي تقيد العبيد في مجتمع الرق.

سلاسل العبيد والقيود الإقطاعية كلاهما كانت أدوات معادية للإنسان لم تختلف أبدا إحداها عن الأخرى.

وإذا كان ثمة فرق فهو شكل وطرق استخدامهما.

إلا أن المجتمع الإقطاعي أيضا انهار أخيرا مع خراب نظام المراكز الاجتماعية.

خلاصة القول إن كل مجتمعات الطبقة الاستغلالية التي أقيمت في تاريخ البشرية كانت جهنمات تنتهك انتهاكا صارخا للمطالب المستقلة لجماهير الشعب العامل ومصالحها دون استثناء.

## خلافات وعداء

رغم أن المجتمع نطاق خاص للعالم بناه الإنسان بنفسه للحاجة إلى التلاحم والتعاون، لكن الإنسان اضطر إلي معاناة الكوارث القاسية التي فرضها ذلك المجتمع، وهي الأكبر من الكوارث الطبيعية. لماذا إذن تبرز الأشرار الاجتماعية مثل الخلافات والعداء والاصطدامات مرارا وتكرارا في المجتمع الذي بناه الناس بغية التلاحم والتعاون وشق مصيرهم؟ متى ستنتهي تلك الأشرار؟

كي نعرف تاريخ الخلاف والعداء الذي يتحدى بعناد للتلاحم والتعاون، ربما كان من واجبا أن نعود إلى عهد فجر مجتمع البشرية. كان المجتمع المشاعي البدائي، أول مرحلة من مراحل مجتمع البشرية باقيا لقرون طويلة.

في بداية هذا المجتمع، كان لكل أفراد عشائره نفس الواجب والحقوق المتساوية.

عبر إنجلس (١٨٢٠ - ١٨٩٥) عن النظام القبلي بقوله إنه "منظمة مدهشة أكثر بساطة وتواضعا".

زمننا ما قال روسو في فرنسا (١٧١٢ - ١٧٧٨) إن السبيل للتخلص من كل أشرار المجتمع والكوارث هو العودة إلى الطبيعة، واصفا المجتمع المشاعي البدائي وصفا مثاليا.

لكن ظهور نظام الملكية الخاصة كان يعني انهيار المجتمع البدائي وفي الوقت ذاته نشوء الفردية.

إن الفردية هي نتاج عن نظام الملكية الخاصة، وانقسم المجتمع

القائم على الفردية إلى الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة، الطبقة الاستغلالية والطبقة المستغلة، وأسفر عن وجود العداء الطبقي وعدم المساواة الاجتماعية ورافقه استغلال واضطهاد الطبقة الحاكمة الأقلية لجماهير الشعب.

ظهور نظام الملكية الخاصة أنجب أسلوب الحياة الجديدة الذي يختلف تماما عن المجتمع البدائي.

لا يمكن للإنسان أن يعيش دون وسائل الحياة وأدوات العمل. ولكن مع تركيز هذه الوسائل والأدوات الضرورية لحياة الإنسان في أيدي الأفراد، صار مبدأ نزاع البقاء يعمل بين الناس، وظهرت النظرة إلى القيمة، التي تفضل المصالح الخاصة على المصالح العامة في المجتمع.

فقد تحول الناس ممن وقعوا في حالة العيش تابعين للآخر إلى عبيد أول ضحايا استغلال واضطهاد الإنسان للإنسان، بينما تحول من يعبدون الآخرين ويستغلونهم ويخضعونهم للإتيان بمصالحهم إلى أصحاب العبيد.

كان ظهور العبيد وأصحابهم يعني التقسيم الطبقي في المجتمع مع انهيار الحياة المشاعية البدائية، كما أنه تعبير واضح عن ظهور عدم المساواة الطبقيّة.

وكان ظهور العبيد وأصحابهم يعني الانتقال إلى المجتمع الطبقي. إن دولة امتلاك الرقيق التي ظهرت جديدا في مجتمع البشرية لم تكن إلا دولة صنعت القوانين التي تفرض وضع عدم المساواة والأنظمة المتفردة الجائرة على الناس، وتلوح بها، لتخدم كليا لتحقيق مصالح قلة من الفئة الامتيازية.

من جراء ظهور القوانين والدولة التي تحمي مصالح الطبقة الاستغلالية، أصبحت الفردية أساسا فكريا للمجتمع الاستغلالي، وفي أسلوب حياة الناس، صار يعمل مبدأ "نزاع البقاء" و"شريعة الغاب". بسبب ذلك، أصبح مجتمع الإنسان مشطورا إلى الطبقات المعادية، واشتد العداة الطبقي وعدم المساواة، واستمر استغلال واضطهاد قلة من الطبقة الحاكمة للشعب ولو حدث تغير في شكلهما.

كان عدم المساواة التي تتلقى حماية الدولة والقوانين الرجعية في المجتمع الاستغلالي تتغذى بمكر، كلما اشتد نضال الإنسان المعادي لعدم المساواة تلك، وكانت تضايق الناس بعناد.

"أهدى" التقسيم الطبقي للمجتمع الشقاق الكبيرة المتمثلة في الخلاف والعداء للناس. كان الخلاف والعداء الظاهران في الدنيا مع التقسيم الطبقي عقبة كبرى تعوق سبيل شق مصير الإنسان الذي يعيش بأسلوب حياته المتمثل في التلاحم والتعاون.

فإن الخلاف والعداء على اختلاف طبيعتهما وشكلهما، المؤديين إلى الاعتداء والحرب والنزاع والتقاتل كانا يرافقان مع مجتمع الإنسان مثل ظله كما لو أنهما عنصران ضروريان لا غنى عنهما، بعد وقوع التقسيم الطبقي للمجتمع.

كانت كل المجتمعات الطبقيّة من مجتمع الرق إلى المجتمع الإقطاعي وغيره قائمة مع الأشرار غير القابلة للحل التي تسمى بالخلاف والعداء.

لم يكن بوسع الإنسان المفروض عليه عدم الحقوق الاجتماعية أن يتخلص بسهولة من الحالة السيئة، وانحدر أكثر فأكثر إلى أدنى حوض المصير البائس.

كان العبيد هم أول ضحايا الخلاف والعداء وعدم المساواة. فقد انطلق العبيد إلى النضال لتحسين حالتهم والتخلص من وضع السيطرة والعبودية.

من جراء نضالهم هذا، تفكك نظام مجتمع الرق، وأقيم نظام المجتمع الإقطاعي، لكن حالة الشعب لم تجد هنا أيضا تغييرا جذريا.

وبهذا المعنى، يمكن القول إن تاريخ المجتمعات الطبقيّة الاستغلالية مثل مجتمع الرق والمجتمع الإقطاعي هو تاريخ الدورة الشريرة المفرغة التي يتوالى فيها مصير الإنسان المستغل والمضطهد البائس باستمرار، وكان "العبيد" متواجدين في أي مجتمع من تلك المجتمعات. إذن، إلى متى يستمر مصير "العبيد" الذي أتى به التقسيم الطبقي؟ هذا سؤال مشترك يراود أذهان جميع الناس الذين يتطلعون إلى شق مصيرهم بقوة التلاحم والتعاون بعد وضع حد للتاريخ المأسوي للخلاف والعداء. ليس في الدنيا أي شخص يحب العيش معانيا العبودية والاستغلال من قبل الآخر.

ولذلك، يشعر الإنسان بأكبر احتقار وخزي وألم، حين تعرضت كرامته الجديرة بالإنسان الاجتماعي للانتهاك، أكثر مما أصيب بالمرض جسديا.

من المعروف للجميع أن من يشجعون على العداء والشقاق وينهمكون في النزعة الذاتية والتعسف كانوا موجودين في التاريخ، وما زالوا أحياء حتى الآن.

تقع اليوم في العالم الحوادث المأسوية التي ينهار فيها بين ليلة وضحاها أي بلد عاجز عن الدفاع عن نفسه سواء أكان بلدا عريق التاريخ والتقاليد أم بلدا متطور اقتصاده، من قبل الإمبرياليين الذين



يزيدون من الخلاف والعداء في كل مكان من العالم، باللجوء إلى القوة والجور.

ولا يمكن تقديم الشكوى في أي مكان في حالة اعتداء قوي على ضعيف.

إذن، هل يكون الخلاف والعداء والنزعة الذاتية والتفرد أديبا؟ لا..  
يكون ثمة في العالم اليوم مجتمع صادق يسوده التعاون والمساعدة المتبادلة، وتشتد القوى الدولية النازعة إلى التبادل المستقل والمتساوي.

## التلاحم والتعاون

كل أمور الناس السارة والحزينة تنشأ في العلاقات الاجتماعية. حسب نوعية العلاقات الاجتماعية التي يقيمها المرء، تتخصص له بركة أم مصيبة.

يكون ضمير الإنسان دليلا على عيشه في الجماعة.  
إذا كان الإنسان كأننا يعيش بمفرده انعزالا عن الآخرين، فإنه لا يحتاج إلى ترصد مزاج الآخرين ولا الشعور بوخز الضمير والعار.  
لكن الناس كانوا يعيشون ويشقون المصير بعد تشكيل الجماعة. الجماعات التي يعيش ويعمل فيها الناس هي المجتمع بالذات.  
بما أن الإنسان يعيش بعد تشكيل المجتمع بخلاف الحيوان، يسمى بالإنسان الاجتماعي والكائن الاجتماعي. رغم أن عيش الإنسان في المجتمع أمر واضح لجميع الناس، لكن الرأي في سبب ذلك ليس موحدًا. عيش الإنسان بعد تشكيل المجتمع لا يستهدف مجرد حفظ وجوده، بل إنه يهدف إلى العيش كسيد العالم.

يعيش الإنسان في العالم، ويشق مصيره من خلال تحويل العالم. بعيدا عن العالم، لا يمكن تصور حياة أو مصير الإنسان. إذ أن العالم هو تراب حياة الإنسان وحبلة نشاط الإنسان لشق مصيره. إذا أراد المرء أن يعيش كسيد العالم، فيجب عليه أن يحول كل ميادين العالم ويجعلها تخدم له.

لا يمكن تحقيق ذلك بمجرد قوة فرد من الأفراد. بالقوة الاجتماعية وحدها، يمكن للإنسان أن يحقق أسلوب حياته بالتلاحم والتعاون. رغم أن تاريخ البشرية يعود إلى عدة ملايين السنين، لكنه قصير جدا بالمقارنة مع تاريخ الكون العائد إلى عدة المليارات بعد عشرة مليارات السنين.

في تاريخ الكون الطويل هذا، تكرر وقوع الجوائح وغيرها من التغيرات والتقلبات، وفي سياق ذلك، ظهر واختفى عدد لا حصر له من الوجودات.

ومن تلك الوجودات الكثيرة، بقي الإنسان وحده كمسيطر هذا العالم وقائد كل الأشياء.

ذلك لأنه شكل جماعة قديرة مسماة بالمجتمع، لا يمكن لأي "كائنات راقية" أخرى أن تقلدها. بما أنه شكل المجتمع، استطاع أن يغدو مسيطر الكون غير المتناهي وسيد المصير.

يوجد ثمة في الدنيا عدد كبير من الاختراعات العلمية المصنوعة بفضل التفكير البارِع والتصور المدهش.

ولكن تلك الأشياء أيضا ليست مجرد صنع فردي. مهما يكن المرء نابغة بارعة، لا بد أن نعتبره صاحب المعارف المخترنة في الماضي من خلال التعليم الاجتماعي، ومهما يكن التفكير بارعا، ليس ذلك إلا

نتاج عن التجارب والمعارف المخترنة من خلال الممارسات الاجتماعية.

كل الإبداعات التي حصل عليها الإنسان هي نتاج عن التعاون الاجتماعي دون استثناء.

يتطلب التعاون الجيد التلاحم المنطلق من تضافر القلوب والغايات. لا ينجح أي عمل دون التفاهم. ولذلك، كان الناس يشقون مصيرهم بطريقة التلاحم والتعاون منذ البداية.

إن من يخرب التلاحم ولا يشارك في التعاون لا يتلقى معاملة جديرة بالإنسان، ولا يستطيع أن يتمتع بكرامة وفخر جدير بالإنسان الاجتماعي في أي وقت.

سيكون ذلك أكثر بؤسا في الدنيا.

إن الإنسان غير القابل للعيش دون تشكيل المجتمع لا يستطيع أن يشق مصيره بنجاح إلا عندما يتخذ التلاحم والتعاون كأسلوب وجوده. طبيعة الناس الجوهرية هي أن يعيشوا بسعادة فيما هم يتحدون ويتعاونون فيما بينهم ويقف كل منهم على المساواة ضد العبودية والاستغلال.

قدرة الإنسان لا تكمن في مجرد ذكاء الفرد وقوته. حسنة الإنسان هي عيشه بالتعاون وسط العرى الاجتماعية الوثيقة.

إن السر في مواصلة شق مصير الإنسان على طول المسار التاريخي هو التلاحم والتعاون.

حقيقة التاريخ تبين لنا أن أي نوع من الصعاب يمكن التغلب عليها، وبلوغ هدف الحياة، عند مشاركة الغايات وتضافر القوى.

في كوريا التي تجسدت فيها فكرة زوتشيه، يعمل جميع أفراد

المجتمع باذلين كل ما لديهم من أجل المجتمع والجماعة ولأجل إغناء البلاد وتقويتها وازدهارها، فيما هم يثقون ويتحدون ويساعدون ويقودون بعضهم لبعض، تحت شعار "الواحد للجميع والجميع للواحد!".

كل الفضائل الجميلة السامية التي تتبدى في كل أنحاء البلاد تبين جانبا من جوانب العالم الفكري والروحي السمي للشعب الكوري وتطور العلاقات الإنسانية في المجتمع.

إذا كان أبناء الشعب الكوري يمضون اليوم في خلق التاريخ الجديد لنهضة الدولة وتطورها متغلبين بصمود علي شتي أنواع التحديات والصعاب، يعود الفضل في ذلك إلي أن التلاحم والتعاون يشكلان أساسا في علاقات المجتمع.

إن السر في شق مصير الإنسان يكمن في إحياء حسنة الإنسان المتمثلة في العيش بالتلاحم والتعاون إلى أقصى حد.

## الإنسان هو سيد مصيره

في الأيام الماضية، كان الناس يرون أن مصيرهم أمر محتوم لا يمكن تغييره. في الماضي، كان مصير الناس إجباريا لمن لا يخضعون له، وتم إعدام من يقاومون له إعداماً لا شفقة له. كان وضع الناس البائس هو عيشهم كعبيد المصير إن شاءوا أم أبوه. لكن المصير المحتوم الذي يفرضه الآخر لا يمكنه أن يغدو مصيري أنا إطلاقاً، مثلما لا يمكن للآخر أن يتحول إلى أنا، لأن الإنسان هو سيد مصيره. هذا إعلان تاريخي وضع حداً لمصير الإنسان البائس في الماضي.

## أي كائن هو الإنسان؟

هذه المسألة الفلسفية عن أي كائن هو الإنسان مسألة ما هي خصائص الإنسان الجوهرية الأصلية التي تميز الإنسان من الكائنات الأخرى، وكذلك مسألة لماذا يغدو الإنسان سيد مصيره.

سياق شق مصير الإنسان هو مسار تحقيق مطالبه الجوهرية. ولذلك، حسب نوعية الرؤية لطبيعة الإنسان، يقرر الإنسان هدف مصيره واتجاهه، ويختار طريقة صنعه.

في التاريخ، كان الكثير من الآراء المتنوعة في طبيعة الإنسان تقوم على أساس مختلف أنواع المصير.

حسب عدد أنواع الآراء في طبيعة الإنسان، تنتشر فروع المصير المتنوعة. بما أن المسألة الخاصة بطبيعة الإنسان مسألة جدية تخص بمصيره، استهلك عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين والفنانين والمتدينين في الشرق والغرب وفي الماضي والحاضر طاقتهم الطائلة للبحث عن الجواب الصحيح عن هذا السؤال، منذ بداية تاريخ البشرية.

كل مآسي المصير التي عاناها الناس جاءت لجهلهم لأنفسهم. إن المسألة عن الإنسان تناولتها كثيرا الفلاسفات السابقة أيضا.

لكن معظم بحوثها اقتصرت على مجرد الآراء التجريدية في الإنسان بعيدة عن العلاقات الاجتماعية.

بما أن آلاف وعشرات آلاف الناس درسوا الإنسان في الأيام الماضية كل منهم في موقف يختلف عن الآخر، كانت الآراء في ذلك أيضا مختلفة ومتنوعة.

دعونا نرى البعض منها.

فكر الأقدمون أن كل الأشياء في الدنيا هي الطبيعة بالذات، عاجزين عن التفريق بين الطبيعة وبقية الأشياء الأخرى، ومن هنا، ظنوا أن الناس أيضا جزء من الطبيعة، ولم يفكروهم بالمنأى عن الطبيعة. قصارى القول إنه لم تكن تصنف الطبيعة والمجتمع والإنسان في نظر الأقدمين بمثل المفهوم الحالي.

من الواضح من هنا أنهم كانوا عاجزين عن إيضاح ما هو الإنسان. إذن، كيف رأت وجهة النظر حول العالم في العصور الوسطى الإنسان؟ يمكن القول إن العصور الوسطى رغم بعض الفوارق في الشرق والغرب واختلاف هذا البلد من بلد آخر هي حقبة تحكمت فيها النظريات غير العلمية بأذهان الناس.

فإن النقطة المشتركة في آرائهم هي أن كلها انطلق من رأي أن أي كائن غامض صنع الإنسان. طبعاً إن المحاولات في الشرح العلمي عن نشوء الإنسان كانت قائمة في تلك العصور أيضا.

ولكن لتدنى مستوى تطور العلوم، لم تنجح هذه المحاولات.

طبعاً إن الجواب عن كيفية نشوء الإنسان ليس جواباً عما هو الإنسان، لكنه يشكل أحد الشروط المقدمة الهامة لإيضاح هذه المسألة بصواب.

مع تطور المجتمع والعلوم منذ العصر الحديث، نشأت المحاولات في إيجاد الجواب عما هو الإنسان في الإنسان بذاته.

مثلاً إن بعض الناس قالوا إن الإنسان كائن طبيعي وكائن بيولوجي، لأنه نتاج عن الطبيعة، ووصف الآخرون طبيعة الإنسان "ككائن عامل" و"كائن مفكر" و"كائن ناطق" وغير ذلك.

وبلغ الأمر حد وصف الإنسان "ككائن متوحد" و"كائن سائر إلى الموت".

خلاصة القول إن الإنسان كان يعيش حتى الآن لمدة القرون الطويلة من التاريخ، دون أن يعرف ما هو نفسه، وكان ذلك مختفيا بعمق وراء الكواليس السوداء.

إلا أن فلسفة زوتشييه وحدها أوضحت أن الإنسان هو كائن اجتماعي ذو استقلالية وإبداعية ووعي. إن الشيء الهام هنا هو أنها أوضحت خصائص الإنسان الجوهرية انطلاقا من أن الإنسان هو كائن اجتماعي. يعني الكائن الاجتماعي كائنا يعيش ويعمل في الجماعة الاجتماعية بعد إقامة العلاقات الاجتماعية.

الإنسان وحده في العالم كائن اجتماعي. الناس وحدهم يعيشون مترابطين اجتماعيا. خصيصة الإنسان الجوهرية المختلفة عن الوجود الطبيعي هي أن الإنسان تشكل وتطور في سياق العيش في الجماعة الاجتماعية بعد إقامة العلاقات الاجتماعية.

إن الإنسان هو كائن ذو استقلالية، كائن اجتماعي مستقل. إن الاستقلالية هي طبيعة الإنسان الاجتماعي الذي يسعى إلى العيش والنمو مستقلا، بكونه سيد العالم ومصيره.

لامتلاك الاستقلالية، يتغلب الإنسان على قيود الطبيعة، ويعارض كل أنواع العبودية في المجتمع، ويجعل جميع الأشياء تخدم لنفسه. مثلما يبين التاريخ الماضي، لا يود الإنسان أن يعيش عبوديا للعالم الخارجي، بل إنه يود أن يعيش كسيد العالم وسيد مصيره.

هذه ميزة خاصة يحملها الإنسان وحده ولا يمكن وجودها في كل الكائنات البيولوجية الأخرى. أسلوب حياة الكائنات البيولوجية هو



العيش تابعة لبيئة الطبيعة ومكيفة لها.

حسب قانون بقاء المكيف، يبقى الحيوان المكيف للبيئة، ولا يتخلص الحيوان غير المكيف لها من مصير الانقراض.

انقراض الديناصورات التي كانت تزدهر زمانا ما يبيننا أن الحيوان لا يمكن العيش دون تكيفه للبيئة المحاطة به.

لكن الإنسان لا يتقبل أي نوع من القيود والعبودية بل إنه يعارضها. إن قيود وعبودية الإنسان للإنسان أصبحت إهانة وخزيا لا يطاق بالنسبة للناس.

إذا كانت حقوق الإنسان التي يجب على كل من يولدون كإنسان أن يتمتعوا بها لا تتخصص لجميعهم فإن ذلك ما هو إلا نموذج عدم المساواة الاجتماعية.

يطمح كل الناس دائما حرية بعد التخلص من عدم المساواة الاجتماعية والعبودية. نضال العبيد ضد نظام الاسترقاق، ونضال الأفتنان ضد النظام الإقطاعي، ونضال الشعوب ضد نظام الحكم الاستعماري تبين كل تلك النضالات أن الإنسان ليس كائنا يعيش شاغرا للبيئة الاجتماعية المتوفرة كما هي عليه، بل أنه كائن يعيش مع إعادة تحويل العلاقات الاجتماعية بما يتلاءم مع متطلباته المستقلة.

إن الإنسان هو كائن اجتماعي خلاق ذو صفة إبداعية.

تعني الصفة الإبداعية طبيعة الإنسان الاجتماعي الذي يحول العالم على نحو واع وهادف ويشق مصيره.

لامتلاك الإبداعية، يحول الإنسان الطبيعة والمجتمع على نحو صالح ونافع أكثر له، فيما هو يغير ما هو قديم ويصنع ما هو جديد باستمرار.

لنر إذن ما هي الحدود بين الإنسان والحيوان في علم البشر؟

مسألة الحدود بينهما تشكل مسألة المفتاح في حل المسائل متى ظهر الإنسان ومتى ابتدأ تاريخ البشرية.

مدى شدة الجدل عن مسألة الحدود بين الإنسان والحيوان يمكن معرفته جيدا بمجرد النظر إلى طرح مسألة "الحدود بين الإنسان والحيوان" كمسألة المناقشة في الندوة الدولية السابعة لعلم البشر.

كانت الآراء المختلفة في شأنها تتضارب في أوساط علم البشر، لكن الشيء الواحد المشترك هو أن الحدود بينهما يجب وضعها بواسطة الأدوات الحجرية.

أي أن الأحافير المكتشفة مع الأدوات الحجرية ستكون أحافير البشر من دون شك، وبما أن الآثار التي اكتشفت فيها الأدوات الحجرية ما هي إلا آثار تركها الإنسان، فلا بد من اعتبار الأدوات الحجرية كمعيار هام في تمييز الإنسان من الحيوان.

خلاصة القول إن الإنسان يملك صفة يصنع بها أشياء وظواهر جديدة لا يمكن لأي كائن طبيعي أن يصنعها. هذه الصفة هي إبداعية بالذات.

طبعاً إن الحيوانات أيضاً تقوم بالنشاطات الراقية مثل حفر الأرض لصنع الجحور، وشبك الأعشاش. لكنها لا تكون نشاطات إبداعية لتحويل الطبيعة.

إذا كانت نشاطات الحيوانات هذه نشاطات خلاقة، فإن طرق تلك النشاطات ستتغير حسب الظروف والبيئة، وتتطور تلك الطرق مع مرور الأيام والسنين، لكن نشاطات الحيوانات ثابتة دون أي تغير سواء أ في الماضي أم اليوم.

لكن طرق نشاطات الإنسان تتطور مع مرور الزمان لأنه يملك

صفة خلاقية. يغير الإنسان الأشياء القائمة في العالم المحيط به على نحو جديد بما يتلاءم مع إرادته، ويصنع ما هو غير موجود.

هكذا بما أن الإنسان يملك صفة خلاقية يغير بها ما هو بال ويصنع ما هو جديد ويحول الطبيعة والمجتمع لصالح ونافع أكثر لنفسه، فإنه يستطيع أن يعيش ويتطور في أي ظروف الحياة.

كما أن الإنسان كائن اجتماعي واع.

إن الوعي هو صفة الإنسان الاجتماعي التي تحدد كل النشاطات لإدراك العالم ونفسه وتحويلهما.

لامتلاك الوعي، يستطيع الإنسان أن يدرك العالم و قوانين حركته وتطوره، ويغير ويطور الطبيعة والمجتمع بما يتلاءم مع متطلباته.

إن الوعي يضبط ويتحكم بنشاط الإنسان لإدراك العالم ونفسه. وبالوعي، ينقب الإنسان أسرار كل الأشياء في العالم ويوضح طبيعة الظاهر عن طريق جمع وتحليل المعلومات اللازمة ويدرك حالته ويحكم ما هو نافع وما هو ضار عن طريق تمييز الصواب من الخطأ.

كما أن الوعي يضبط ويتحكم بالنشاط لتحويل العالم ونفسه.

لامتلاك الوعي، يحدد الإنسان موضع نشاطاته العملية لتحويل البيئة وتطوير نفسه ويضع الأهداف لها.

كما أنه يصمم أفعاله المشخصة ويضبط ويتحكم بقوته، لبلوغ أهدافه الموضوعية، ويتغلب على العقبات، بإظهار قوته الإرادية.

هكذا، يعني الوعي الخصيصة الجوهرية للإنسان الذي يقوم بنشاطاته المستقلة والخلاقة بفضل أفعال الوعي التحكيمية.

لامتلاك الصفات الاستقلالية والإبداعية والوعي، يغدو الإنسان كائناً أكثر تفوقاً وقوة في العالم. لكن حقيقة أن صفات الإنسان الجوهرية هي

الاستقلالية والإبداعية والوعي لا تعني أبداً أن الإنسان يملك الاستقلالية والإبداعية والوعي منذ ولادته.

لأن صفات الإنسان الجوهرية هذه صفات اجتماعية تتشكل وتتطور اجتماعياً وتاريخياً.

ولذلك، تتجلى في الناس باختلاف حسب كيفية جهود الإنسان وأي نوع من التربية والتعليم العائلي والاجتماعي تلقاه، وأي تأثير المحيط الاجتماعي تلقاه.

ذلك لأن فوارقهم في سياق الحياة الاجتماعية تسفر عن الفوارق في مستوى الاستقلالية والإبداعية والوعي.

منطق نمو الإنسان هو امتلاك وظيفة الناطق واكتساب الفكر والمعارف وإنماء القدرة التطبيقية من خلال التربية والتعليم العائلي والاجتماعي.

حقيقة أن الاستقلالية والإبداعية والوعي هي صفات الإنسان الاجتماعية تتجلى بوضوح في مواصلة ارتفاعها وتعززها منذ ظهور مجتمع البشر حتى اليوم.

بنية الإنسان الجسدية وخصائصه البيولوجية لم تتغير بدرجة كبيرة منذ دخول البشرية المجتمع المتمدن حتى الآن، لكن مستوى تطور استقلالية الإنسان وإبداعيته ووعيه ارتفع بدرجة ملحوظة جداً.

ارتفاع صفات الإنسان الحالي هذه نتاج عن نضال البشر وجهودهم المشتركة الطويلة منذ تشكيل المجتمع.

لاكتشاف ملامح الإنسان الحقيقية، وضع حد للتاريخ الطويل الذي عاش فيه الإنسان دون أن يعرف نفسه.

## يمسك الإنسان بدفة المصير ويجدف مجداف المصير

طرحت فلسفة زوتشيه مسألة العلاقات بين العالم والإنسان ومسألة مكانة الإنسان ودوره في العالم كمسائل جوهرية للفلسفة، وأوضحت المبدأ الفلسفي القائل بأن الإنسان هو سيد جميع الأشياء ويقرر جميع الأشياء وعلى أساس ذلك، بينت طريق شق مصير الإنسان.

إن المبدأ القائل بأن سيد مصير الإنسان نفسه وقوة شق مصيره أيضا لنفسه منطق رئيسي لشق مصير الإنسان، أوضحت فلسفة زوتشيه. يوضح هذا المنطق أيضا مركزا ماذا وكيف يجب على الإنسان أن يعمل من أجل مصيره.

إن التفكير في مصير الإنسان وسط العلاقات المتبادلة ما بين الإنسان والبيئة ظل يجري طوال مجاري التاريخ منذ بدء التفكير الفلسفي.

في الظروف الماضية التي لم تتجل فيها بوضوح أفعال الإنسان الإيجابية للبيئة المحيطة به، لتدني مستوى صفاته الاستقلالية والإبداعية والوعي، كان الناس يبحثون عن سبيل مصيرهم، معلقين الآمال على البيئة.

أبرز الأمثلة منها هو "نظرية التقرير الجغرافي". نواة هذه النظرية هي أن البيئة الطبيعية مثل حجم الأرض والظروف المناخية والترربة تقرر وعي الناس والنظام الاجتماعي.

لكن التاريخ رفض هذه النظرية. لم تكن البيئة تهدي حسن الحظ

للإنسان تلقائياً، وخصوصاً كانت البيئة الاجتماعية أكثر قسوة وعديمة الرحمة.

يشق الإنسان مصيره، فيما هو يصمم الظروف والبيئة اللازمة، ويؤدي عمله ودوره لتحويلها إلى أرض الواقع بمبادرة منه.

إن الشيء الهام في تسيير المركب قدما بصواب بعد رفع شراعه هو الإصابة في الإمساك بالدفة.

إذا أمسك المرء بالدفة بصواب، فإن المركب يسير إلى الأمام نحو اتجاهه، وإذا أساء إلى الإمساك به، فإن المركب يضل الطريق وفي النهاية يغرق في الماء. والإنسان هو بالذات يرفع شراع المصير ويتحكم بالدفة.

هذا يعبر عنه فلسفياً أن الإنسان هو سيد مصيره.

إن الكلام عن السيد يستخدم بالمعاني المختلفة في حياة الناس اليومية.

يمكن القول إن هذا الكلام يحتوي على المعاني واسعة النطاق التي تعبر عن مختلف العلاقات في الحياة الاجتماعية.

لكن السيد بالمفهوم الفلسفي ليس كلمة عادية بل إنه مفهوم يعبر عن مكانة الإنسان في علاقاته مع العالم المحيط به.

يحدد الإنسان، حسب مصلحته، اتجاه مصيره، ويصمم جريانه ويصدر قراره.

طبعاً إن إرادة الإنسان وقراره لا يصدران بمحض نزعه الذاتية بعد إهمال وضعه وبيئته.

تفكير الإنسان ينطلق من وضع حياته الملموسة ويجري مع أخذ البيئة بعين الاعتبار.

إن من يصدر قرارا عشوائيا دون أي حساب يعاني الإخفاق دائما في حياته.

خلاصة القول إن الإنسان يتخذ إرادته وقراره بخصوص مصيره على أساس حساب البيئة.

يشق الإنسان مصيره بقوته الذاتية فقط. كل الصلاحيات لمصيره ممنوحة للإنسان نفسه، والواجب لحل مسألة مصيره كلها على مسؤوليته أيضا ألقى على عاتق الإنسان نفسه.

إن المسألة هي أن الإنسان كيف يستخدم الصلاحيات الممنوحة له، وكيف يؤدي الواجب الذي ألقى على عاتقه.

إذا حمل الإنسان شعورا رقيقا بالمسؤولية يعي أن مفتاح شق مصيره يكون لنفسه، وقرارا صائبا وعزما أكيدا، وسار على قدميه بثقة وإرادة صلبة نحو المستقبل، فإنه يستطيع أن يبلغ هدف مصيره، فيما هو يحول البيئة والظروف صالحة له.

كي يسير المركب على الطريق الصائب بعد رفع شراعه، لا بد من جذف المجذاف على نحو صائب مع الإمساك الصائب بالدفة.

أحد الأعمال الذي يجب على الإنسان أن يقوم به من أجل نفسه هو جذف مجذاف المصير بالذات.

مجذف المصير هو الإنسان نفسه.

إن التعبير الفلسفي عن ذلك هو أن الإنسان يؤدي دورا حاسما في شق مصيره.

هذا يعني أن نشاطات الإنسان نفسه تؤدي عملا حاسما من بين مختلف العوامل التي تفعل فعلها في شق مصير الإنسان.

طبعاً إن البيئة والظروف تشكل قوة مادية كامونية كبيرة تقدر على

تحويل ظروف حياة الإنسان.

يكون ذلك عاملا هاما يفعل فعله في شق مصير الإنسان.

خصوصا إن العوامل الاجتماعية مثل العلاقات الاجتماعية والخيرات المادية والثقافية التي تم تشكيلها على مدى التاريخ تؤثر تأثيرا كبيرا في شق مصير الإنسان ومستقبله.

لكن الشيء الحاسم هنا هو نشاط الإنسان نفسه.

إن للإنسان قوة عظيمة قادرة على تحقيق هدف الإنسان ومثله العليا.

طبعاً إن الإنسان يتلقى مساعدات كبيرة من العوامل الأخرى أيضا

في تحقيق ذلك الهدف والمثل العليا.

ولكن مهما تكن القوة المادية للبيئة المحيطة كبيرة، لا يمكنها أن

تعوض عن قوة الإنسان نفسه.

قوة الإنسان ليست مجرد قوة فيزيائية.

رغم أن حد القوة الجسدية للإنسان حقير، لكنه يستطيع أن يشاهد

قريته خارج الكرة الأرضية بعد التخلص من جاذبية الأرض، ويبنى

الأهوسة وحقول الملح بعد سد البحر ويشيد المدن الكبيرة ويحدث

غيرها من التغيرات العظمى على الكرة الأرضية.

ههنا بالذات، تكمن قوة الإنسان وجبروته.

يحسب الإنسان أين يوجد ما يلزم لشق مصيره وأي ظرف من

الظروف يجب توفيره لإطلاق قدرته، ويخطط ويحقق تلك المجريات.

في كل الأشياء من الأدوات الحجرية التي ظهرت إلى حيز الوجود

مع ظهور مجتمع البشر إلى وسائل الآلات والتكنولوجيا الرائدة الحالية،

يتجسد ذكاء الإنسان وقوته بالذات.

أي نوع من العلاقات الاجتماعية والخيرات المادية والثقافية التي



يستخدمها الإنسان لم تكن إلا وسائل صنعها ويستخدمها الإنسان في سياق النضال لشق مصيره.

هكذا، يوفر الإنسان كل الظروف اللازمة للحياة بقوته القديرة. مهما تكن القوة الفيزيائية للطبيعة جبارة، لا مغزى لها في شق المصير دون تصافرها مع قوة الإنسان.

فإن القوة الحاسمة لشق المصير هي قوة الإنسان نفسه.

# وجهة النظر حول العالم ومسألة مصير الإنسان

طالما أن مصير الإنسان يتم شقه في العالم، لا بد من امتلاك وجهة النظر الصائبة حول العالم، بغية شق المصير بنجاح بالمعرفة الجيدة بأسرار كل الأشياء والظواهر والاستفادة الصحيحة منها.

فقط عند امتلاك وجهة النظر الصائبة حول العالم، يمكن الإدراك الصحيح لجوهر كل الأشياء والظواهر المتنوعة وإعادة تحويلها بنجاح.

أي نوع من وجهة النظر حول العالم يتضمن أحوال الناس ومصالحهم المتنوعة. لأن الناس يرون العالم ويعاملونه حسب أحوالهم ومصالحهم.

هذا يدل على أن وجهة النظر حول العالم ليست مجرد معرفة عن العالم بل إنها فكر إيديولوجي.

من وجهات النظر حول العالم عبر التاريخ، كان ما يؤثر تأثيرا إيجابيا أو سلبيا في مصير الإنسان.

وجهة النظر الفلسفية الصائبة حول العالم تجعل الإنسان يثق ثقة تامة بمستقبل مصيره.

## الآراء السابقة إلى العالم

كانت وجهة النظر حول العالم تتطور على مدى التاريخ الطويل. كانت بؤرة الآراء السابقة إلى العالم هي مسألة كيفية تحديد خصائص كل الأشياء والظواهر في العالم بما فيها الإنسان بكلام واحد.

بخصوص هذه المسألة كانت ثمة نوعان متعارضان من الآراء. أحدهما يرى أن خصائص الأشياء المتنوعة يعزي أصلها إلى نفسها، والآخر يراه في الوعي حتى قال إن الروح أي الوعي يحدد كل خصائص الأشياء.

كان تضارب هاذين الرأيين تضارب مسألة المصير التي تتعلق بأن أصل أحوال الإنسان هل يجب إيجاده في الواقع أو في أي نوع من الروح.

استمر تضارب هاذين الرأيين في العالم لعشرات القرون الطويلة حتى انتهى نظريا بظهور وجهة النظر الديالكتيكية المادية حول العالم.

رغم أن مصير الإنسان الذي يعيش في العالم لا يمكن شقه على نحو صائب دون إقامة وجهة النظر الصائبة حول العالم، لكن الإنسان لم يدرك المنطق الأساسي لأشياء العالم منذ البداية.

في بداية ظهور الإنسان، كان نطاق حياة الإنسان ضيقا جدا، وتجارب حياته أيضا بسيطة جدا.

لكن الإنسان كان لا بد أن يتصل باستمرار بالعالم المحيط به،

ولذلك، صار يمتلك تصورا عن العالم ولو كان ذلك حقيرا وخياليا.  
ولكن مع انهيار المجتمع البدائي واختزان تجارب الناس العملية  
وازدیاد الصلات الاجتماعية سعة وثاقفة، تطور تصور الإنسان الحقیرة  
والبسيط عن العالم إلى وجهة النظر المنهجية نظريا.

كانت المسألة الجوهرية التي نوقشت في وجهات النظر الفلسفية  
السابقة حول العالم هي مسألة أصل العالم بقصارى القول، أي مسألة ما  
هو الأول من المادة والوعي.

وبعبارة أخرى، هل نشأت المادة أولا ونشأت منها الروح، أو نشأت  
الروح أولا ونشأت منها المادة؟

أثناء الحياة، يرى الناس عددا لا حصر له من الأشياء والظواهر  
المتنوعة التي تتواجد بأشكال وأحجام معينة، ويختبرون مباشرة  
بظواهر الروح المعقدة.

كان الشيء الهام في المسألة الفلسفية السابقة هو وضع أي منهما  
كأساس يوضع في موقع التقرير.

إن الرأي الذي يرى أن العالم هو مادة في جوهره ويكون موحدا  
بالمادة يصر على أن الأشياء والظواهر المتنوعة والمعقدة تكون  
متواجدة موضوعيا بغض النظر عن أي نوع من النظرة يراه الناس و  
كيفية النظر إليها، ولا يعني الوعي إلا تلك الأشياء والظواهر التي  
دخلت إلى أذهان الناس من خلال جهاز إحساسهم. خلاصة القول إن  
المادة هي الأول والوعي الثاني.

ومن هنا، يقول داعي مادية العالم إن الأشياء في العالم ليست غيبية،  
وما هي إلا وجود نفسها، فلا داعي للمعاملة خياليا مع جميع الأشياء في  
العالم.

لكن الرأي الذي يرى العالم ما هو إلا عالم الخيال يقول إن خصائص الأشياء وظواهرها هي ما حدده "الخيال"، "الروح". خلاصة القول إنه يصر على أن الروح، الوعي هو الأول والمادة هي الثانية.

إن استقصاء الناس عن العالم الذي بدأ بمسألة أولوية المادة أو الوعي، مسألة أصل العالم راح يتزود بموصافاته النظرية بالارتباط مع اختزان تجارب الناس العملية وتطور قدرتهم على الإدراك وأوضاعهم الاجتماعية والطبقية، بعد التخلص من التصور البدائي للعالم.

ويعني ذلك في آن واحد أن مصير الإنسان راح يحدده موقف الإنسان من الحياة بموجب أسلوب التفكير ومبدئه المنطقيين.

كان الاستقصاء الفلسفي عن العالم، الذي جرى بشأن أصل العالم يرافقه الجدل العلمي والنضال الحاد الطويل والشاق بالارتباط مع مصير الإنسان.

كانت مسألة أصل العالم مسألة فلسفية بما يتشكل العالم، وفي الوقت ذاته مسألة اجتماعية وسياسية حادة عن أن الامتيازات الاجتماعية وعدم الحقوق قد حددها شيء ما أم نتاج اجتماعي.

أسفر ذلك عن العداء والصراع بين المادية والمثالية. في النزاع بينهما، لم يتنازل أحد للآخر، وبالتالي، مضت القرون الطويلة بالنزاع بينهما ثقيلة.

وفي الوقت ذاته، دار هذا النزاع بالصلة الوثيقة مع الصراع بين الجدلية والميتافيزيقية اللتين تتعارضان في المسألة كيف يتغير ويتطور العالم. ذلك لأن هذه المسألة تتعلق بمصير الإنسان حتى تطرح كمسألة هل أن المصير محتوم أم قابل للتغيير.

كانت الجدلية تصر على أن جميع الأشياء في العالم تتغير

وتتطور في العلاقات المتبادلة بينها، لكن الميتافيزيقية تصر على أن الأشياء والظواهر تتواجد معزولة كل منها عن الآخر، وتكون ثابتة لا تتغير.

قصارى القول إن الصراع بين المادية والمثالية كان صراعا خاصا بأصل العالم عما هو العالم في الأصل مادي أم روحي، والصراع بين الجدلية والميتافيزيقية كان صراعا خاصا بمسألة اتصال كل الأشياء في العالم بما فيها الإنسان ومسألة حركتها وتغيرها.

كان الماديون القدماء يفسرون عن العالم بظواهر الطبيعة المشخصة التي كثيرا ما يشاهدونها عن كذب في حياتهم اليومية.

فإنهم قالوا إن الأشياء والظواهر المتنوعة في العالم حدثت بتغير الأشياء مثل الماء والنار والهواء والتراب بهذا الشكل أو ذلك، ورؤوا حتى الوعي أيضا سويا مع الهواء أو الذرة.

لكن هذه الآراء لم تكن مدعومة بالمعلومات العلمية، ولم تكن إلا آراء بسيطة وعفوية قائمة على التجارب العامة والمعاناة الحية.

لكن المادية والجدلية في العصور القديمة كانت تتضمن، مع اتصافها بالطابع الحدسي والحقير، رأيا يرى أن مصير الإنسان ليس شيئا غيبيا، وليس شيئا غير قابل للتغيير.

وفي القرون الوسطى أيضا، كانت المادية والجدلية متطورتين وسط الصراع ضد المثالية والميتافيزيقية.

بينما كان الفلاسفة الأوروبيون يفسرون عن الخصائص العامة للعالم الموضوعي بواسطة الظواهر الطبيعية أساسا، كان الفلاسفة الشرقيون يميلون أساسا إلى المسائل الاجتماعية والسياسية.

وفي العصر الحديث خاصة، ظهرت في الشرق الأفكار الاجتماعية

والسياسية الرامية إلى إصلاح البلاد والدفاع عن السيادة كتيار فكري أساسي، مع ظهور النضال ضد الحكام الإقطاعيين الفاسدين والعاجزين في الواجهة.

بخلاف المادية القديمة التي اعتمدت على تجارب الحياة والتخيل والتكهن، كانت المادية الحديثة تعتمد على نجاحات العلوم الطبيعية، وعلى ذلك، كانت ترى أن العالم بما فيه الإنسان مؤلف من المواد وحدها، وليس ثمة أي كائن فوق طبيعي وغيبى يسيطر العالم.

لكن النضال الجاري عبر التاريخ بين المادية والمثالية، وبين الجدلية والميتافيزيقية، انتهى بالحكم عليه أخيرا بظهور الفلسفة الماركسية التي أثبتت نظريا انتصار المادية والجدلية.

بعد أن قبل مؤسسو الماركسية المضامين المعقولة في المادية والجدلية السابقة على صعيد النقد، قدموا الجدلية المادية، وهي فلسفة أوضحت مادية العالم والقوانين العامة لتغييره وتطوره.

## العالم المنظور إليه بوضع الإنسان في الصدارة

تشكلت الكرة الأرضية قبل مليارات السنين، وفي سياق تغييرها الطويل، ظهرت مواد الحياة، وبعدها، ظهرت النباتات الراقية، وفي سياق نشوئها وارتقائها، ظهر الكائن الخاص المسمى بالإنسان.

وحتى بعد ظهور هذا الكائن الخاص في العالم، كانت القوانين الأصلية على كل أصعدة عالم المواد تفعل فعلها دون تغيير.

كانت الأشياء والظواهر المتنوعة في عالم المواد ترتبط ارتباطا وثيقا فيما بينها، بموجب قوانينها الأصلية.

في الواقع إن هذا الارتباط كان قائما، منذ قبل ظهور الإنسان، ولكنه أصبح أكثر تنوعا مع ظهور مواد الحياة والحيوان الراقي من الحيوان الأدنى في سياق النشوء والارتقاء الطويل لعالم المواد .  
رغم إن الاتصال بين الأشياء صار مضافا ومتنوعا مع سياق نشوء وارتقاء عالم المواد، لكن ذلك لم يتخلص من خصائص التفاعل المتبادل العفوي لمختلف الكائنات الطبيعية.  
كان الاتصال العفوي بين الأشياء علاقات جوهرية تميز العالم قبل ظهور الإنسان.

ولكن منذ ظهور الإنسان، ظهرت علاقات جديدة كل الجدة عن التفاعل المتبادل البسيط للكائنات الطبيعية، وتلك هي خصائص جوهرية تبين ملامح العالم الحالي. تلك العلاقات الجديدة هي علاقات بين العالم والإنسان بالذات.

بظهور الإنسان، نشأت علاقات جديدة لم تكن في الماضي أي علاقات السيطرة والتحويل، علاقات التعرض للسيطرة والتحويل.  
من المعروف للجميع أن الصخور الكلسية القائمة في الحالة الطبيعية يتغير شكلها وحجمها وعناصرها باستمرار بتأثير التعرية.  
وحيث تستخدم هذه الصخور في الحياة الاقتصادية، تسمى بالحجر الكلسي.

أما الحجر الكلسي فهو ثروة قيمة لا غنى عنها في عديد من ميادين الحياة الاقتصادية مثل الصناعة الكيميائية وصناعة المواد البنائية.  
حتى الأشياء التي تتغير عفويا بصفقتها الأصلية تتحول حسب هدف الناس وتستخدم للوفاء بحاجتهم، إذا عملتها يد الإنسان.  
وبعبارة أخرى، تتغير حتى الأشياء والظواهر الموضوعية أيضا بما



يتلاءم مع حاجات الناس، إذا شغلتها يد الإنسان، حتى تبرز خصائصها الجديدة بصفاتها الأشياء والظواهر التي تخدم الوفاء بحاجات الناس. تغير اليوم عدد كبير من الأشياء والظواهر في الكرة الأرضية التي يسكنها الناس على أيديهم، وتستخدم لحياة الناس وتطورهم. هكذا، تكمن العلاقات الجوهرية التي تتشكل بين العالم والناس في حقيقة أن العالم يسيطره الإنسان ويحوّله.

هذه العلاقات ميزة جوهرية تبين ملامح تطور الواقع. طبعاً لا يعني كلام أن العالم يكون تحت سيطرة الناس ويتحول من قبلهم أن جميع الأشياء في العالم تكون تحت سيطرة الناس وتتغير من قبلهم.

إذا كانت البيئات المحيطة بالإنسان كلها صالحة له فإنها ستكون أكثر مثالية إذا نظرناها في مصلحة الإنسان. لكن الواقع ليس كذلك. تكون ثمة كثير من البيئات غير الصالحة للإنسان.

وحتى إذا كان شيء صالحاً للإنسان بالأمس، فإنه يتحول إلى شيء غير صالح أو غير نافع اليوم أو في الغد، إذا لم يلحق بحاجات الناس المرتفعة باستمرار.

وما زال في العالم مخربو السلام باقين والنظام الدولي الجائر باقياً، وكذلك، الكوارث الطبيعية التي تهدد بقاء الإنسان أيضاً باقية.

لكن الناس يعملون بدأب ومثابرة على تحويل البيئات غير الصالحة وغير النافعة إلى صالحة ونافعة. تكون ثمة في العالم قلة قليلة من الظروف التي يمكن للناس أن يستفيدوا منها كما هي عليه.

كل الأشياء والظواهر تستطيع أن تساهم صالحة لبقاء الناس

وتطورهم، فقط حينما تتحول وتتغير إلى حد ما.  
إذا أراد الإنسان أن يستفيد من العالم المحيط به فلا بد له من أن يدرك حركة العالم وتغيراته المتنوعة ويضبط ويتحكم بها صالحة له.  
إدراك الإنسان حركة العالم وتغيراته المتنوعة أول فرصة في العلاقات التي يقيمها الإنسان مع العالم بأفعاله ودوره الإيجابية والفعالة.  
دون أن يقوم الإنسان على أساس إدراك طبيعة العالم وقوانين حركته وتغيراته، لا يستطيع أن يتخذ موقفا صائبا منها ويستفيد منها صالحة له.  
وعلى أساس إدراك حركة وتغيرات الكائنات المادية في العالم المحيط به، يضبط ويتحكم الإنسان بها صالحة له.  
من حركة وتغيرات الكائنات المادية يكون ما يصلح للإنسان وما لا يصلح له.

وحتى نفس الحركة والتغيرات تكون صالحة للإنسان حينما وغير صالحة حينما آخر.  
مثلا إن المطر يكون صالحا عند نثر البذور، وغير صالح عند الحصاد.

فإن الإنسان يسعى جاهدا للتشجيع على الحركة والتغيرات الصالحة له، ويتحكم بها على نحو واع وهادف.  
من خلال هذه المجرىات، يجعل الإنسان حركة وتغيرات الكائنات المادية المتنوعة في العالم تخدم صالحة له بالتدريج، وبذلك، يسيطر العالم ويحوّله.

ويجب على الإنسان أن يعرف كل المعرفة كيف يتغير ويتطور العالم، فضلا عما هو العالم في جوهره، وعندئذ فقط، يمكنه أن يشق مصيره بنجاح في خضمها.

أوضحت فلسفة زوتشيه أيضا جديدا قوانين سيطرة العالم وتحويله وتطويره باتخاذ الإنسان محورا لها، فضلا عن طبيعة العالم. تطوير الطبيعة والمجتمع هو جوهره تحويله وتغييره من قبل الإنسان بكونه مسيطر العالم ومحوه.

رغم أنه تم تأكيد انتصار الجدلية القائلة بأن العالم يتصل بعضه ببعض، ويتغير ويتطور باستمرار، من خلال النضال بين الجدلية والميتافيزية حول مسألة تغير العالم وتطوره عبر التاريخ الطويل، ولكنه لم يتوفر جواب علمي يوضح أن العالم يتطور لأي عامل من العوامل، وإلى أي اتجاه، وبأي سرعة.

لكي نعرف بوضوح وقائع تطور العالم الحالي، يجب علينا أن نعرف جيدا ما هو عامل أساسي لتطوره.

لجميع الأشياء والظواهر القائمة في العالم إمكانيات الخدمة للإنسان. ومع ذلك، لا تتحول تلك الإمكانيات إلى الواقع دون نشاطات الإنسان الإيجابية.

إن العامل الأساسي لتطوير العالم هو نشاطات الإنسان الإيجابية، ويتحول العالم إلى عالم خادم للإنسان من قبل نشاطاته الإيجابية وحدها.

طبعا إن الظروف الطبيعية والجغرافية والبيئة الاجتماعية وغيرها من العوامل الموضوعية، فضلا عن الإنسان تفعل فعلها في سياق تطور العالم ومجاري سيطرة العالم وتحوله من قبل الإنسان.

ذلك لأن نشاطات الإنسان لسيطرة العالم وتحويله تخاض وسط الظروف الطبيعية والجغرافية والاجتماعية والبيئة المعينة.

تضم العوامل التي تؤثر تأثيرا معينا في سياق تطور العالم

الظروف الطبيعية والجغرافية والبيئة الاجتماعية والوسائل المادية والتقنية وأشباهاها.

إن الموقع الطبيعي والجغرافي الصالح والجو الدافئ والأراضي الخصبة والموارد الطبيعية الغنية هي بحد ذاتها الظروف الممكنة من استخدام الإنسان لها وطالما أنه تستخدم للإنسان، قد تحققت سيطرة الإنسان لها.

حسب نوعية طابع النظام الاجتماعي، قد تتعرض نشاطات الإنسان لسيطرة الطبيعة والمجتمع وتحويلهما للتقييد أو التحديد وبالعكس، قد تتشجع.

يتغير عالم اليوم أكثر فأكثر في اتجاه الخدمة أكثر للإنسان. هذه هي ميزة هامة لتطور عالم اليوم. طبعاً إن العالم لم ينبثق إلى حيز الوجود من أجل الإنسان، ولا يخدم العالم المحيط به للإنسان بالهدف المعين والاتجاه المعين.

قبل ظهور الإنسان، كان العالم يمضي في النشوء والتطور من خلال التفاعل المتبادل بين الكائنات المادية التي تتحرك باستمرار.

في سياق ذلك، جرى النشوء والارتقاء من الكائنات الأدنى والأقل تطورا إلى الكائنات الراقية الأكثر تطورا، وأسفر ذلك عن ظهور الإنسان الكائن الخاص عبر المواد عديمة الحياة إلى المواد الحيوية. لا يمكن لكل الأحياء ما عدا الإنسان أن تحافظ على وجودها دون التكيف مع الظروف والبيئة المتوفرة.

فمن الطبيعي أن يبقى ما تكيف مع الظروف والبيئة المتوفرة وينهار ما لم يتكيف معها.

لكن الإنسان ليس كائنا يعيش بطريقة التكيف مع الظروف والبيئة المتوفرة.

يسعى الإنسان لإدراك العالم ونفسه بأكثر نطاقا وبأكثر سرعة وبأكثر فعالية، ويصنع ويستخدم الثروات المادية والثقافية الأكثر جودة ومصالحة بأكثر وبأسهل وبأكثر جودة.

تحويل الطبيعة من قبل الإنسان يجري الآن بسرعة وبأوسع نطاقا لم يكن تصوره في الماضي، على أساس العلوم والتكنولوجيا الحديثة. وبموجب ذلك، تساهم أكثر الأجزاء في الطبيعة في الوفاء بحاجات الناس.

يتحول المجتمع أيضا في اتجاه تحقيق استقلالية الناس، اتجاه الخدمة لهم. طبعا إن كل أنواع البيئة الاجتماعية ليست صالحة لتطور الإنسان. في العصور التاريخية الماضية، بقي طويلا المجتمع الجائر الذي يحمي عدم مساواة الإنسان ويعوق تطور الناس السليم.

ولكن بفضل نضال الجماهير الغفيرة التي تعارض مختلف أنواع الامتيازات وعدم المساواة وتسعى إلى تطور الإنسان المستقل، صار المجتمع يتغير ويتطور صالحا حقا لتحقيق طبيعة الإنسان.

مع مرور الزمان، سيتوسع نطاق سيطرة الإنسان وتحويله للعالم أكثر فأكثر، وسيغير العالم باطراد في اتجاه خدمته الأمتل للإنسان. وسيحقق تطور العالم من قبل الإنسان بسرعة أكبر، وسيق هذا التطور السريع يتجلى في تطور وسائل الآلات والتقنيات.

انتقال الأدوات الحجرية وهي أول أدوات عمل الإنسان إلى أدوات العمل الحديدية استغرق مئات آلاف السنين.

فترة استخدام الإنسان الآلات العاملة بالقوة المحركة، البخار منذ استخدام الرحي لأول مرة استغرقت آلاف السنين.

لكن فترة تحقيق الأتمتة في عمليات الإنتاج منذ استخدام الآلات في

الإنتاج لم تستغرق إلا عشرات السنين.  
نجح الإنسان في صنع الطائرة في أوائل القرن العشرين، ولكن  
بعد عشرات السنين من ذلك، صنع سفينة الفضاء، وقام بطيران  
الفضاء بها.

وفي القرن العشرين، تطور علم الفيزياء الذري والكيمياء العضوي  
عالي البلير بسرعة، وعلى الأخص، تطورت في عشرات السنين  
الأخيرة الهندسة الالكترونية والتكنولوجيا المعلوماتية وهندسة اللايزر  
وهندسة الخلايا وهندسة المورثة بسرعة مذهشة.

هذه الحقائق التاريخية خصائص جوهرية في تطور العالم، تتجلى  
بصورة عامة في كل القطاعات والفروع التي تمتد إليها قوة الإنسان، لا  
في أي قطاع أو قطاعين.

ولكن إذا كان الناس لا يسعون إلى تطوير أنفسهم منتشين بالنجاحات  
المنجزة، ولا يقومون بالنضال الإيجابي لتحويل العالم فإن تطور العالم  
لا يتحقق كما ينبغي مهما تكن الظروف رائعة.

قصارى القول إن الجهود المطردة للإنسان نفسه لا غنى عنها  
للنجاح في سياق شق مصير الإنسان، الذي يجري وسط العالم.  
إن سيطرة العالم وتحويله من قبل الإنسان هما رأي متمحور على  
الإنسان، أوضحته فلسفة زوتشيه.

## النظرة إلى العالم والموقف منه

يجب على الإنسان أن يعرف جيدا بأي موقف يتعين عليه أن يعامل  
العالم، على أساس الرأي الصحيح في العالم. هذه هي النظرة إلى العالم

والموقف منه والأسلوبية الفلسفية بالذات.

بغية شق المصير بنجاح بعد التغلب على المحن والمصاعب المعروضة في سياق شق مصير الإنسان، لا بد من وجود الأسلوبية الصائبة. إن النجاح في نشاطات الإنسان الجارية باختلاف في البيئة والظروف المتنوعة وقف على الأسلوبية الصحيحة القائمة على المعارف الصائبة.

إن النجاح في كل الأعمال يمكن ضمانه بالتأكيد، فقط عند القيام على الحكم الصائب لخصائص الأهداف المستهدفة ومستوى استعداد الأنفس والاعتماد على الأسلوبية العلمية.

تعني معاملة العالم باتخاذ الإنسان محورا له معاملته بالانطلاق من مصلحة الإنسان وهو سيد العالم.

إن الإنسان هو أئمن كائن في الدنيا ومصلحة الإنسان أكثر قيمة. مهما يكن أي شيء ما عدا الإنسان قيما، لا يعدو ذلك أكثر من وسيلة في العلاقات مع الإنسان.

كل أهداف نشاطات الإنسان هي تحقيق مصلحة نفسه. بما أن الأهداف تتحقق من خلال الوسائل، فإن الإنسان يثمن الوسائل ذاتها.

محطة توليد الطاقة الكهربائية هي وسيلة لإنتاج الكهرباء، وتكون الكهرباء وسيلة لصنع الأمتعة ومزاولة الزراعة.

إن المنتجات الصناعية والزراعية المنتجة باستخدام الكهرباء تكون وسيلة لا غنى عنها للإنسان.

وللنظرة والموقف المنطلقين من مصلحة الإنسان المضمونان، أحدهما تحليل وتقويم قيمة كل الأشياء والظواهر باتخاذ متطلبات الإنسان المستقلة ومصلحته معيارا لها.

بعبارة أخرى، ينبغي تقويم الأشياء والظواهر، باتخاذ مصلحتها للإنسان ومدى مصلحتها كضابط لها.

بماذا يحدد الفارق في قيمة الأدوات الحجرية في العصر البدائي والآلات الحديثة؟

يحدد ذلك بموجب مدى صالحها للإنسان في كل الأحوال. إذا ابتعدت مسألة مدى خدمتها للإنسان عن الموضوع، فلن يبقى ثمة إلا فارق بينهما في النوعية والبنية والتشكيل.

إن قيمة الآلات الحديثة أكبر بكثير بما لا يقاس من الأدوات الحجرية، ذلك لأنها تعطي مصلحة أكبر للإنسان.

والمضمون الآخر للنظرة والموقف المنطقيين من مصلحة الإنسان هو اعتبار حماية حقوق الإنسان المستقلة ومصلحه في كل نشاطاته كأعلى مبدأ.

من المعروف للجميع أن الطاقة النووية وهي نتاج البحوث العلمية الذي تم إبداعه من أجل رخاء البشرية أعطت الكوارث الفادحة أيضا للبشرية.

عند إنتاج أي شيء أو بناء أي مصنع، ينبغي تجسيد مبدأ تحقيق مطالب الإنسان المستقلة ومصلحته.

حتى إذا تم إنتاج الوفرة الوفيرة من المنتجات وبني عدد كبير من المصانع فلا حاجة إليها، في حالة دوس كرامة الإنسان المستقل وتهديد أرواح الإنسان.

معاملة تغيرات العالم وتطوراته باتخاذ نشاطات الإنسان كأساس تعني معاملتها من حيث النشاطات الإيجابية للإنسان وهو محول العالم. في تحويل العالم وتغييره، لا يمكن إهمال أو تقليل الشأن لفعل



العوامل الموضوعية.

في إدراك العالم وتحويله، تشارك مختلف الوسائل المادية فضلا عن الإنسان. كلما تعمقت نشاطات الإنسان للإدراك والتحويل، يزداد دور تلك الوسائل المادية.

في البحوث العلمية الطبيعية لإيضاح أسرار الطبيعة، تستخدم المعدات الاختبارية المعقدة.

باستخدام هذه المعدات، يمكن للإنسان أن يفتن إلى جوهر الظواهر الطبيعية وحتى قوانين حركتها، التي لا ترى ولا تسمع وليس التلمس بها.

نفس الشيء ينطبق على النشاطات الرامية إلى تحويل الطبيعة. لكن ذلك لا يعني أن دور الوسائل المادية أكبر من دور الإنسان في إدراك العالم وتحويله.

رغم دورها الكبير الذي لا يمكن الاستخفاف به، لكن الدور الحاسم في ذلك هو دور الإنسان في كل الأحوال.

ذلك لأن دور الأول لا يعوض عن دور الثاني.

دور الكمبيوتر الذي يرتبط اليوم ارتباطا وثيقا بحياة الناس هو الآخر لا يمكن تصوره دون الإنسان. هذا الكمبيوتر الذي يحسب في لمحة بصر ما لا يمكن حسابه بذهن الإنسان حتى طول عمره لا يعدو إلا نفاية الحديد دون تحكم الإنسان به، كما أن الإنسان هو بالذات من الذي جعله يحسب ذلك الحساب المعقد.

قصارى القول إن الإنسان يؤدي دورا حاسما في تحويل العالم وتغييره. كل التغيرات التي يشهدها العالم اليوم ترتبط بجهود الإنسان الكبيرة وعرقه.

بفضل الدور الحاسم الذي يؤديه الإنسان، سيتغير العالم ويتطور باستمرار في المستقبل أيضا.

وقوة الإنسان الخلاقة لا تولد فطريا على الإطلاق. ما لم يكتسب الإنسان وفرة وفيرة من المعارف والتجارب من خلال التعليم والممارسات المطردة، لا يمكنه أن يقوم بنشاطاته الخلاقة، ولا أن يحل بنجاح المسائل الضخمة والمعقدة المعروضة في حل مسألة المصير.

ولذلك، بغية تغيير العالم وتحويله باتخاذ نشاطات الإنسان أساسا لهما، يجب إنماء قوة الإنسان الخلاقة، وحل كل المسائل الناشئة في إدراك العالم وتحويله بطريقة إعلاء الدور الخلاق للإنسان.

إذا استطاع الشعب الكوري أن ينهض واقفا بعد التخلّص من أنقاض الحرب في الخمسينات من القرن الماضي، فإن الفضل في ذلك يعود إلى حكمة قيادة الزعيم العظيم كيم إيل سونغ الذي استنهض قوة الشعب بعد دخوله في أعماقه واثقا بقوته.

في ذلك الحين، توجه الرئيس إلى أفراد الطبقة العاملة في مصنع كانغسون للفولاذ، ودعاهم إلى إنتاج الفولاذ قائلا إن البلاد يمكنها أن تتخلص من النوء بالثقل، إذا أنتجوا المواد الفولاذية بمقدار عشرة آلاف طن زيادة عن الخطة المحددة، واستجابة لدعوته، اعتزم العمال على إنتاج ٩٠ ألف طن من المواد الفولاذية بواسطة آلة الدلفنة بطاقة ٦٠ ألف طن، وفي الواقع، أنتجوا ١٢٠ ألف طن.

لهيب النهضة الكبرى التي أشعلها الزعيم العظيم انتشر بسرعة البرق في أنحاء البلاد، حتى بدأت حركة تشوليمما بمعنى الحصان المجنح الذي يركض ألف ري في يوم واحد.

بعد أن رفع أفراد الطبقة العاملة في كوريا هذه الشعلة عاليا، صنعوا

الجرارات والشاحنات والحفارات وغيرها من مختلف أنواع الآلات  
والمعدات بأيديهم.

وعلى ذلك، حقق الشعب الكوري بنجاح الخطة الخمسية الأولى،  
وأرسى بذلك الأسس الوطيدة للتصنيع الاشتراكي.

حقا إن العامل الأكثر حسما في نشاطات الإنسان لإدراك العالم  
وتحويله هو قوة الإنسان، وبالاعتماد عليها، ليس ثمة ما هو شيء  
مستحيل.

هذه هي حقيقة بينها تاريخ الثورة الكورية.

# الذات الفاعلة للتاريخ وشق المصير

الذات الفاعلة للتاريخ يعني مضطلعا بتطوير التاريخ. ذات التاريخ هذه هي جماهير الشعب.  
لا يمكن للإنسان أن يقدر على تطوير التاريخ ولا شق مصيره إلا عندما يكون فردا من أفراد جماهير الشعب.  
لا يستطيع الإنسان أن يشق مصيره بنجاح، إلا عندما يشارك في الحركة التاريخية الاجتماعية بعد أن صار فردا من أفراد جماهير الشعب.

إن مصير الناس الذي مضى في شقه باستمرار مع التاريخ الاجتماعي يرتبط بمسارات النضال الطويلة التي سلكتها جماهير الشعب وهي ذات التاريخ، مشاطرة الأفراح والمحن لبعضها لبعض. طبعاً إن جماهير الشعب ليست دائماً في كل فترة من فترات التاريخ كانت تسلك أصح طرق النضال على نحو واع وهادف.  
أقامت فلسفة زوتشيه نظرة وموقفاً موجبين لرؤية التاريخ الاجتماعي ومعاملته بعد وضع جماهير الشعب في الصدارة، وعلى أساس ذلك، أوضحت المسار المشروع لتطور التاريخ.

## جماهير الشعب كائن أكثر قوة

أصلا إن كلام "جماهير الشعب" يتصف بالطابع الطبقي في المجتمع الطبقي.

ففي المجتمع الاستغلالي، يصنف أفراد المجتمع إلى الطبقتين المستغلة والمستغلة والطبقتين الحاكمة والمحكومة، حسب امتلاك أو عدم امتلاك وسائل الإنتاج وسلطة الدولة. تشكل الطبقة المستغلة والطبقة المحكومة تركيبة رئيسية من جماهير الشعب.

ولكن في المجتمع الاشتراكي، تحول جميع الناس إلى عاملين اشتراكيين، حتى يشكل الناس من كل فئاتهم وطبقاتهم أفرادا من جماهير الشعب.

تتألف جماهير الشعب من مختلف الطبقات والفئات. أفكار الناس وأفعالهم ليست تتأثر بحالتهم الاجتماعية والطبقية وحدها. إذا امتلك المرء فكرا تقديميا، فإنه يستطيع أن يخدم جماهير الشعب، بغض النظر عن حالته الاجتماعية والطبقية.

ولذلك، إذا صقل المرء نفسه باستمرار، وشاطر الشعب دائما السراء والضراء، الحياة والموت، فإنه يستطيع أن يصبح فردا جديرا من أفراد الشعب، ويصنع مصيره بنجاح منضمًا إلى صفوف نضال جماهير الشعب.

تنطلع جماهير الشعب إلى العيش والتطور بكونها سيذا للعالم ومصيرها. طبعًا إن مطالب جماهير الشعب النازعة إلى الاستقلالية

ارتفع مستواها باستمرار مع تطور التاريخ، وبموجب ذلك، تغيرت باستمرار التكوينة الطبقيّة لجماهير الشعب أيضا.

ففي مجتمع الرق، كانت الطبقات والفئات التي تناضل من أجل تحطيم القيود العبودية عناصر رئيسية من جماهير الشعب، وفي المجتمع الإقطاعي، كانت الطبقات والفئات التي تناضل من أجل التخلص من القيود الإقطاعية تشكل عناصر رئيسية من جماهير الشعب.

حتى إذا نظرنا إلى مسار تطور التاريخ، ونضال اليوم الرامي إلى تحقيق مطالب الإنسان للاستقلالية على نطاق العالم كله، فنجد أن جماهير الشعب الغفيرة تقف في صدارتها.

كل من يحب البلاد والأمة والإنسان كائنا من كان يستطيع أن يخدم الشعب، وبالتالي يستطيع أن يغدو فردا من أفراد جماهير الشعب.

إنه لأحد القوانين وحقيقة لا يمكن لأحد أن يرفضها أن يحب المرء الذي يعتز بالإنسان أمته أيضا، ويحب المرء المتميز بشدة حبه للأمة وطنه أيضا.

تكون ثمة كثير وكثير جدا من الإمكانيات التي تجعل الإنسان فردا من أفراد جماهير الشعب.

كل شخص كائنا من كان يستطيع أن يغدو فردا من أفراد جماهير الشعب، إذا كرس نفسه على طريق النضال المحب للبلاد والأمة والشعب.

على الرغم من أن الشعب كان يؤدي دورا هاما للتقدم بالتاريخ، لكنه كان يلاقي معاملة باردة من المجتمع.

في الأيام الماضية، لم يكن الشعب حتى موضع نقاش السياسيين،

وغيض المفكرون نظرهم عن الشعب عمداً.  
كانت الطبقة الاستغلالية تضطهد حقوق الشعب الاجتماعية بالقوة  
والمال، وتحافظ على وجودها بامتصاص دماء وعرق الشعب.  
إن الشعب هو مالك القوة والمواهب التي لا ينضب معينها وخالق  
الخيرات الاجتماعية التي يصنعها ببذل الجهود الدؤوبة.  
كلمة الشعب مقترنة بتاريخ الإبداع والتغيير والمعجزات النادرة. إذ  
أن الشعب هم جميع الناس الذين يمضون في تطوير المجتمع بنشاطاتهم  
الخلقة.

وبهذا المعنى، يكون الشعب هم الناس العاملون. كل ما هو جميل  
وقيم في هذه الدنيا خلقه الشعب.

إن العدالة والضمير والعادات الجميلة والتقاليد الحميدة وكل أنواع  
التراث الثقافي القومي المتوارثة جيلاً بعد جيل كلها خلقها الشعب.  
كل الاختراعات العلمية المعروفة على نطاق واسع في العالم أيضاً  
دون استثناء من صنع جماهير الشعب بنشاطاتها الخلاقة وتجاربها.  
موضوع الفن التقدمي أيضاً يصدر من الشعب. نضال جماهير  
الشعب للاستقلالية هو حقاً منبع وموضوع الفن الحقيقي. توفر جماهير  
الشعب الظروف اللازمة لإبداع الثقافة، وتخلق هذه الثقافة مباشرة  
بأيديها من خلال نشاطاتها الخلاقة.

بفضل جماهير الشعب التي تصنع التاريخ بروحها المستقلة والعاملة  
وقوتها التي لا ينضب معينها، قد أبدع كل ما هو قيم وجميل منتشر  
بروح الإنسان السامية ونفسه وذكائه.

تقوم جماهير الشعب بنشاطاتها الخلاقة من أجل عيشها كسيد العالم  
ومصيرها ولأجل تحقيق استقلاليتها.

كانت جماهير الشعب تتطلع دائما إلى الاستقلالية، وتصنع التاريخ في غمار النضال الرامي إلى تحقيقها.

جماهير الشعب هي بالذات مجموعة الناس المتحدين بالنقاط المشتركة للمطالب الاستقلالية والنشاطات الخلاقة باتخاذ الناس العاملين أساسا لها.

بما أن الشعب هو الذات الفاعلة التي تصنع التاريخ فمن الجدير أن نملك نظرة وموقفا نرى بهما تطور التاريخ بعد وضع جماهير الشعب في الصدارة.

إن إقامة النظرة والموقف من التاريخ بعد وضع جماهير الشعب في الصدارة تكون تحولا عظيما في النضال الرامي إلى شق مصير الإنسان، الذي كان يتطور باستمرار عبر التاريخ الاجتماعي.

منذ أول يوم من انطلاقه إلى طريق الثورة، اتخذ الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ الفكر الداعي إلى اعتبار الشعب كالسماة عقيدة محببة له، وكان يدخل في أوساط الشعب، ويحل كل المسائل الناشئة بالاعتماد على قوتها.

في شهر نيسان/ أبريل عام ١٩٩٤، سأل وفد محطة سي. أن. أن. التلفزيونية الأمريكية للرئيس كيم إيل سونغ "ما هي هوايتكم؟ وما هي أهم العوامل التي أثرت في تشكيل شخصيتكم ووضع سياستكم؟" رد عليه الرئيس حينذاك قائلا إنه يمكن القول إن هوايتي هي الحب لقراءة الكتب، والانخراط مع الشعب، والحديث معه، ومشاركتي إياه الحياة.

وإذا كانت الكتب معلمي الصامت، فإن الشعب هو معلمي الأكثر ذكاء والأوسع اطلاعا.



إن لدى الشعب فلسفة واقتصادا وأدبا أيضا.  
لقد أدركت في سياق النضال من أجل استقلال الوطن وازدهاره حقيقة أن من يثقون بالشعب، ويعتمدون عليه، سيخرجون ظافرين دائما، أما من يبندهم الشعب، فإنهم سيعانون آلاف الهزائم، وقمت بقيادة الثورة والبناء، باتخاذ هذه الحقيقة قناعة راسخة لي.

إن فلسفتي السياسية هي الثقة ب جماهير الشعب كسيد للثورة والبناء والاعتماد على قوتها، وارى انها جعلتني أكرس حياتي كلها من أجل الشعب.

يشتمل قوله هذا على نظرتة السامية إلى الشعب، التي كان يحملها منذ أول فترة من انطلاقه إلى طريق الثورة، ويجسدها طول حياته.

انطلاقا من هذه النظرة، رفع الرئيس شعار "ليدخلوا في أعماق الشعب!" طوال نشاطاته الثورية، منذ أول فترة من انطلاقه إلى طريق الثورة، واتخذ من عقيدة حياته الثابتة وقاعدة سلوكه أن يدخل في أوساط الشعب ويقوم بالنشاطات الثورية بينهم.

في سياق إجراء نشاطاته المتحمسة لتثوير الجماهير وتنظيمها بعد الدخول في أوساطها، في أيام نضاله الثوري المناهض لليابان، صار يملك قاعدة فلسفية للحياة والنضال من شأنها أن روح حياة الإنسان الثوري تبتدئ من دخوله في أعماق الجماهير، وتنتهي حينما تبتعد عنها، وأحس من أعماق قلبه بأنه ليس ثمة في الدنيا قوة تستطيع أن تحطم قوة جماهير الشعب المتحدة والمتيقظة فكريا.

بعد تحرير الوطن أيضا، كان يتغلب على كل المحن والمصاعب، عن طريق دخوله دائما في أعماق الشعب واستنهاض قوتها التي لا تنضب.

هكذا، بما أن فلسفة زوتشيه هي فكر يعتبر جماهير الشعب كائنا أكثر كرامة وقوة، ويبرزها كذات فاعلة للتاريخ، فقد استطاعت أن توضح للشعب الكوري الطريق الجديد لصنع مصير الإنسان.

## إن الاستقلالية هي طريق التاريخ الاجتماعي التي لا تتغير

إذا كانت حركة التاريخ الاجتماعي هي حركة جماهير الشعب وهي الذات الفاعلة، فإن مجاري تطور التاريخ هو مجاري صنع مصير جماهير الشعب.

مجري تطور التاريخ ونضال الإنسان الرامي إلى شق مصيره لم تكن إلا تتابع النضال الشاق الذي اجتاز عددا لا حصر له من متون التحديات والمحن.

رغم أن تلك النهوج كان يتلأف فيها تطور المجتمع حيناً وحيناً آخر يتعرض نضال جماهير الشعب للقمع، من جراء القوى الرجعية التي لا تحب ارتفاع مكانة جماهير الشعب ودورها، جنباً إلى جنب مع تطور المجتمع، ولكن كان ثمة هناك أحد الاتجاهات الجوهرية، وهو أن التاريخ كان يتقدم على الطريق الواحد أي بما يتلاءم مع طبيعة الإنسان بكونه كائناً اجتماعياً.

رغم أن جماهير الشعب تتطلع إلى الاستقلالية، لكن نهوج تحقيقها لم تكن سهلة المنال.

كانت جماهير الشعب تناضل مهركة الدماء من أجل حريتها وحقوقها

على مدى التاريخ، وفي هذا السياق، كان التاريخ يتقدم إلى الأمام خطوة بعد خطوة.

كانت أول انطلاقة جماهير الشعب للاستقلالية في التاريخ هي انتفاضة العبيد.

كان العبيد يناضلون باستمرار، لكن نضالهم هذا تعرض للإخفاقات المتكررة، من جراء القمع الوحشي الذي قامت به الطبقة الحاكمة. انتفاضة سبارتاكوس المعروفة بأكبر انتفاضات العبيد في المجتمع القديم هي الأخرى انتهت بقتل آلاف المنتفضين بعد دق المسامير في أجسادهم على الصليب القائم في الطرقات.

لكن جماهير الشعب لم توقف نضالها، رغم أنهم كانوا يسقطون على الأرض مهرقين دماء، وسط القمع الوحشي من جانب أصحاب الرقيق. بفضل نضال العبيد الذين قاتلوا آلاف السنين من أجل التخلص من الحياة العبودية، انهارت طبقة أصحاب الرقيق وتقوض النظام العبودي.

وبفضل القوى الاستغلالية الحديثة، استبدل النظام العبودي بالنظام الإقطاعي. لكن علاقات امتلاك الأراضي الإقطاعية ونظام المراكز الاجتماعية ألفت حول أعناق الشعب القيود الجديدة للاستغلال والاضطهاد.

كانت كثير من نضالات الفلاحين ضد العبودية الإقطاعية تتصف بالطابع المحلي، لكن بعضها كانت تتصف بالحرب الأهلية، حتى صارت النضالات حامية الوطيس التي دارت رحاها على نطاق واسع. كانت حرب كابو للفلاحين التي دارت في كوريا عام ١٨٩٤ حرباً كبيرة شارك فيها عدد كبير من أبناء الشعب ضد الحكام الإقطاعيين.

لكن نضال الشعب في ذلك الحين، تعرض للقمع القاسي من قبل المعتدين الأجانب والطبقة الاستغلالية الرجعية، وانتهى بالفظائع الدموية.

جرى نضال الشعب الكوري ضد الإقطاعية بالارتباط مع نضال التحرر الوطني الرامي إلى التخلص من العبودية القومية.

فقد هب الشعب الكوري واقفا في النضال الثوري جديد الشكل، الذي يسمى بالثورة الديمقراطية المناهضة للإمبريالية والإقطاعية التي تهدف إلى التخلص من العبودية الطبقية والقومية.

كان النضال المسلح المناهض لليابان الذي قاده الرئيس كيم إيل سونغ نقطة تحول تاريخي في تاريخ نضال الشعب الكوري من أجل الاستقلالية.

أخيرا، حقق الشعب الكوري القضية التاريخية لتحرير الوطن في يوم ١٥ من شهر آب/ أغسطس عام ١٩٤٥ بقيادة الرئيس كيم إيل سونغ، واسترجع سيادته الوطنية، وبفوز النصر المتتالي في حرب التحرير الوطنية (١٩٥٠ - ١٩٥٣)، جعل الأيام الماضية التي ديست فيها استقلاليتها تماما تحت الأقدام لن ترجع إلى الأبد.

كما أنه حقق استقلاليتها الاجتماعية والسياسية من خلال الثورة الاشتراكية، وأتى بتحول عظيم في نضاله الرامي إلى تحقيق استقلاليتها التامة بعد التخلص من كل أنواع قيود الطبيعة والمجتمع.

تاريخ نضال الشعب الكوري الهادف إلى تحقيق الاستقلالية ينعكس عليه المسار المشروع لتاريخ البشرية.

على مدى التاريخ الطويل، خاضت جماهير الشعب نضالها الدموي دون كلل لتحقيق الاستقلالية، وفي سياق ذلك، تبدل المجتمع القديم.

بفضل نضال جماهير الشعب، بدأ أحد أشكال المجتمع القديم بالانهيار، وعندئذ، غيرت الطبقة الاستغلالية لباسها بالآخر، وافكرت شكلا آخر للاستغلال. فقد خدعت أبناء الشعب، واستولت على السلطة السياسية، وأظهرت مظهرها الحقيقي كرجعية التاريخ.

أخيرا، راح الشعب ينقب المصدر الاجتماعي الذي يصنع كل أنواع القيود والسلاسل الحديدية والأنيار، متسائلين هل أن الأشرار الاجتماعية التي تقيد الشعب هي طبيعة المجتمع من أصله، وأي مجتمع هو المجتمع الذي يعيش فيه الشعب بحرية.

إذا صار مجتمع الرق والمجتمع الإقطاعي منهارين فذلك لأنهما لم يكونا يتلاءمان مع الطبيعة والتطلعات الاستقلالية لجماهير الشعب وهي الذات الفاعلة للتاريخ.

بدأت جماهير الشعب بالإدراك أن استقلاليتها لا يمكن تحقيقها دون أن تصبح سيد السلطة، وانطلقت إلى النضال لتحقيق استقلاليتها الاجتماعية والسياسية.

نضال جماهير الشعب من أجل تحقيق استقلاليتها دار علي صعيد مقاومة سيطرة ونهب الدولة للدولة أيضا.

تشكل جماهير الشعب أغلبية ساحقة من البلاد والأمة، وسيادة البلاد والأمة هي استقلالية جماهير الشعب بالذات.

ولذا فإن نضال جماهير الشعب من أجل الدفاع عن سيادة البلاد والأمة دار في كل فترات تاريخ البشرية.

ولكن في أي فترة من فترات تاريخ البشرية، لم يوضع حد للنهب والعدوان على البلد الآخر والأمة الأخرى.

إن حروب الغزو ومكائد الضم للسيطرة على بلد وأمة أخرى

ونهبهما كانت قائمة منذ تشكل الأمم وظهور الدول القومية.  
فمنذ عهد الرقيق إلى يومنا هذا، جرت باستمرار أعمال الاعتداء  
والنهب لبلد آخر وأمة أخرى.  
في سياق ذلك، انهارت الدول القومية الصغيرة والضعيفة، أو  
انضمت إلى الدول الاخرى، واستمرت ظواهر فقدان أفراد الأمة  
أراضيهم وبعثرتهم.

منذ بداية السيطرة والعبودية القومية، خاضت جماهير الشعب  
ضدهما النضال التحرري المناهض للعدوان دون كلل.  
نتيجة لاشتداد نضالها من أجل سيادتها واستقلالها والتحرر الوطني،  
نال عدد كبير من البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة استقلالها الوطني،  
وبدأ النظام الاستعماري للإمبرياليين بالانهيار. تنطلق اليوم الشعوب في  
بلدان العالم الكثيرة إلى النضال لإقامة النظام السياسي والاقتصادي  
الجديد القائم على الاستقلالية.

من خلال النضال من أجل الاستقلالية، تضع جماهير الشعب حدا  
تاماً لاستغلال الإنسان للإنسان واضطهاد الطبقة للطبقة، وتقضي على  
كل أنواع مخلفات المجتمع القديم المتوارثة عبر التاريخ، وتتخلص منها  
نهائياً.

إنه لأمر لا يشك أن يقضي حتماً على العلاقات الدولية القديمة التي  
صنعها الإمبرياليون ويتحقق نشر الاستقلالية والديمقراطية في المجتمع  
الدولي، بفضل النضال المتحد لجماهير الشعب التي تدافع عن  
الاستقلالية.

طالما أن جماهير الشعب التي تتخذ الاستقلالية طبيعة لها تقف  
في مركز التاريخ، لن يتغير إلى الأبد الطريق المستقل للتاريخ

الاجتماعي، وسيضع جميع الناس مصيرهم باستمرار على هذا الطريق.

## التاريخ الاجتماعي هو تاريخ إبداع جماهير الشعب

مثلما لا يمكن تصور تطور التاريخ بعيدا عن جماهير الشعب، لا يمكن تصور أي تغير أو أي معجزة بعيدا عن الطبيعة الخلاقة لجماهير الشعب.

كل الخيرات الاجتماعية في هذا العالم هي أصبحت مصنوعة بدماء وعرق جماهير الشعب.

بفضل الجهود المخلصة والنضال لجماهير الشعب، تم خلق كل لحظة من لحظات التاريخ.

يتطور المجتمع بقدر ما يزداد الدور الخلاق لجماهير الشعب. وبقدر ما يتطور وعي الناس الفكري المستقل وقدرتهم الخلاقة، ويرفع دورهم، تزداد الخيرات الاجتماعية، وتتحسن العلاقات الاجتماعية.

إن من يقضون أياما دون أي عمل لا يحسون بسرور الخلق والإبداع. إن جماهير الشعب هي وحدها كائن وحيد يتمتع بسرور الخلاق. إن مستوى تطور جماهير الشعب هو عامل أساسي يحدد تطور المجتمع.

سبق أن دعت الماركسية زمتا ما أن أسلوب إنتاج الخيرات المادية

يكون عاملا حاسما يحدد طبيعة المجتمع ومستوى تطوره، مستعينا بإيراد مثال أن سائق القطار لا ينشأ إلا عندما يصدر القطار. من الواضح أن سائق القطار لا ينشأ دون صدور القطار. لكن جماهير الشعب ليست مجرد مستخدمة أي آلة أو جهاز. إن جماهير الشعب والآلات والتجهيزات هي في العلاقات بين الخلاق والخلائق.

فقط عند وجود الخلاق، يمكن صدور الخلائق، وعند تطور الخلاق، تتطور الخلائق أيضا.

بفضل النشاطات الخلاقة لجماهير الشعب التي تحول الطبيعة والإنسان، يتم خلق كل الخيرات القيمة في المجتمع. كلما يزداد الدور الخلاق لجماهير الشعب، تزداد وتتطور الخيرات المادية والثقافية في المجتمع.

مع اتساع نطاق النشاطات الخلاقة لجماهير الشعب التي تحول الطبيعة، وارتفاع مستواها النوعي، يصنع المزيد من وسائل الحياة والأدوات ذات الخصائص النوعية الجديدة الأكثر تفوقا، حتى تتوسع الخيرات المادية للمجتمع باستمرار.

ومع ارتفاع المستوى النوعي للنشاطات الخلاقة لجماهير الشعب التي تحول الإنسان، تصنع باستمرار وفرة وفيرة من الأفكار والأخلاق والعلوم والتكنولوجيا والآداب والفنون الأكثر تقدما وغيرها، حتى تزداد الخيرات الروحية والثقافية للمجتمع.

تاريخ البشرية من عهد فجر البشرية حيث كانت وسائل الحياة والأدوات البدائية، وحتى اليوم الذي يصنع فيه عدد لا حصر له من وسائل الحياة والأدوات المتنوعة الحديثة والأفكار والثقافة المتطورة،



هو تاريخ ازدياد الخيرات الاجتماعية من قبل النشاطات الخلاقة لجماهير الشعب. إنه لمجرى حتمي لتطور المجتمع أن يتطور الدور الخلاق لجماهير الشعب باستمرار وبما يتلاءم مع ذلك، يزداد الخيرات المادية والثقافية للمجتمع.

مع اشتداد النضال الخلاق لجماهير الشعب التي تحول المجتمع، تتحطم العلاقات الاجتماعية القديمة، والنظام الاجتماعي القديم، ويعوض عنه النظام الاجتماعي التقدمي.

طوال تاريخ مجتمع الطبقات المعادية كله، ازداد النضال الخلاق لجماهير الشعب التي تحول وتغير المجتمع قوة ونموا باستمرار، وبموجب ذلك، أطيح النظام الاجتماعي القديم، وأقيم النظام الاجتماعي الجديد والتقدمي.

إن النهوج التاريخية لتطور النظام الاجتماعي لانهايار نظام الرقيق والنظام الإقطاعي وإقامة النظام الحقيقي الذي تكون فيه جماهير الشعب سيذا له هي المسار الحتمي للنضال الثوري الذي تقوم به جماهير الشعب التي كانت تزداد نموا وقوة.

مع اشتداد النضال الخلاق لجماهير الشعب التي تحول المجتمع، يتطور أكثر فأكثر النضال للحماية والدفاع عن النظام الاجتماعي التقدمي من تحديات القوى المعادية وتحسين واستكمال كل ميادين حياتها الاجتماعية بما يتلاءم مع مطالبها الجوهرية.

نهاية القول، يمكن القول إن مستوى تطور جماهير الشعب، مستوى دورها الخلاق يحدد مستوى تطور المجتمع.

إن من يعرف سبيل سلوكه يضع هدفه الواضح، ويسير بثقة وبسرعة كبيرة.

لكن من لا يعرف سبيل سلوكه يتيه هنا وهناك.  
فلا يمكن للإنسان أن يسير سبيله المستقيم لشق مصيره إلا بالفكر  
والمعارف الصائبة.

إن الاستخفاف بمتطلبات القوانين هو النزعة الذاتية والتفردية.  
لا تأتي النزعة الذاتية والتفردية إلا بهدر القوة والوقت هباء.  
فقط حينما يدرك الإنسان القوانين الموضوعية ويعمل بمبادرة منه  
بما يتلاءم معها، يستطيع أن يسير بسرعة وبصواب نحو هدفه.  
هذا المنطق يفعل فعله في النشاطات الخلاقة لجماهير الشعب من  
أجل صنع التاريخ الاجتماعي.

رغم أن جماهير الشعب كانت تطور التاريخ الاجتماعي باستمرار،  
لكنها لم تكن تدرك في أي وقت سبيل سلوكها.  
في الأيام الماضية، لم تكن جماهير الشعب تدرك بصواب سبيلها  
المستقيم لأداء دورها الخلاق.

في فترة احتلال الإمبرياليين اليابانيين العسكري لكوريا، كان أبناء  
الشعب الكوري يهرقون كثيرا من دمائهم من أجل استقلال البلاد  
واسترجاع سيادة الأمة.

ولكن سحق الغزاة الإمبرياليين اليابانيين ونيل استقلال البلاد كان من  
المستحيل بالقبضات المجردة ولا بقوة بعض الأشخاص.  
كان أكثر الطرق علمية هي ترابط النضال المسلح الشامل من قبل  
الجيش الثوري القومي والمقاومة الشعبية الشاملة.

لكن هذا المنطق لم يكن أن يعرفه كل فرد من أفراد الناس جميعا.  
ولذلك، اختار الناس سبيلهم كل على حدة.

فقد سعى لي جون (١٨٥٩ - ١٩٠٧) وغيره من بعض الناس سعوا

إلى استرجاع سيادة الدولة المغتصبة من قبل الإمبرياليين اليابانيين بطريقة الحصول على "رحمة" الدول الرأسمالية الأوروبية والأمريكية الكبرى.

ولذلك، بعد أن عرف لي جون عقد مؤتمر الصلح العالمي الثاني في لاهاي في هولندا في شهر حزيران/ يونيو عام ١٩٠٧، رآه مناسبة سانحة لإثارة الرأي العام العالمي لكشف الطابع غير الشرعي لسياسة الإمبرياليين اليابانيين العدوانية لكوريا، واشترك في هذا المؤتمر مع زميليه. لكن ممثل أي بلد منها لم يعر أذنا صاغية لندائه، ولم يبد له إلا معاملة باردة.

أدرك لي جون عندئذ فقط أن حلمه لاسترجاع سيادة الدولة بمساعدة بلد آخر كان وهما من أوهام اليقظة، وبقر بطنه بالسكين في قاعة المؤتمر، مقاومة للقوى الإمبريالية العظمى.

ومن جهة أخرى، سعى بعض الناس إلى نيل استقلال البلاد بطريقة قتل زعماء القوى العدوانية، حتى لجؤوا إلى الإرهاب الفردي.

فقد أجهز آن جونغ كون (١٨٧٩ - ١٩١٠) زعيم العدوان على كوريا إيتو هيروبومي في محطة هاربين للسكك الحديدية بالصين في شهر تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٠٩.

وفي ذلك المكان، هتف بصوت عال لعدة مرات "عاش استقلال كوريا!"، وبذلك، أظهر الإرادة الوطنية الصامدة لأبناء الشعب الكوري. رغم قتل إيتو هيروبومي، لم يكن نيل استقلال كوريا. بدأ الناس من أنصار الحركة القومية بخوض حركة جيش الاستقلال، حين رؤوا أن حركة جيش المتطوعين الشرفاء المناهض لليابان تصبح بالاضمحلال منذ بداية عام ١٩١٠.

الاستعداد لحركة جيش الاستقلال جرى انصرافه من قبل قادة جيش المتطوعين الشرفاء السابقين ورجال حركة الثقافة الوطنية.

بعد أن كان القوميون يستعدون حركة جيش الاستقلال، شكلوا وحدات جيش الاستقلال، بمناسبة الانتفاضة الشعبية في اليوم الأول من آذار/ مارس عام ١٩١٩، وبدؤوا بخوض النشاطات المسلحة.

وفي الفترة اللاحقة، انتقلت وحدات جيش الاستقلال إلى منشوريا الشمالية في الصين، وفي منطقة الإقليم الروسي المتاخم بالبحر وغيرها أيضا، شكلت وحدات جيش الاستقلال، لكن قادة هذه الوحدات كانوا يتعادون ويتخاصمون فيما بينهم، من جراء النزاع على السلطة، وفي النهاية، أصبحت هذه الوحدات مشتتة نتيجة للنزاع على السلطة.

في ذلك الحين، كانت قوى جيش الاستقلال الكوري ضعيفة جدا. كانت سرايا جيش الاستقلال ترابط عادة في البلدان القائمة في المناطق السهلية التي كانت غير صالحة لحرب العصابات.

كما كانت أسلحتهم حقيرة، وانضباطهم مختلا، وحالة تدريبهم العسكري أيضا كان في مستوى التذني، وإضافة إلى ذلك، كانت علاقاتهم مع جماهير الشعب سيئة.

في تلك الفترة، حدث أن سأل الشاب كيم إيل سونغ لزعيم القوى المحافظة في منظمة القوميين "مجموعة كوكمين" هل أنت واثق بقهر الإمبرياليين اليابانيين بواسطة قوى "مجموعة كوكمين".

عندئذ، ظل هذا الشخص واجما لبرهات، وبعد ذلك، أجاب عليه بإبهام أنه يجب نيل الاستقلال بتلقي مساعدة الدول الكبرى مع الصمود إلى أجل غير مسمى.

جيش الاستقلال هذا الذي كان يقاتل على نحو أعمى حتى من دون إرادة كسب النصر في القتال، منتظرا مساعدة الدول الكبرى وحدها كان عاجزا لا حول ولا قوة. في نهاية المطاف، لم تكن حركة جيش الاستقلال أيضا سبيل نيل الاستقلال.

رغم أن أعدادا كبيرة من الناس هتفوا بملء أصواتهم شعار "عاش الاستقلال!"، وقاوموا مهرقين الدماء بغزارة، لكنهم منوا بالإخفاق، لأنهم لم يعرفوا الطريق الحقيقي للصائب لاستقلال كوريا. لجهل هذا الطريق، صار جميعهم مصير مسافرين يهيمنون على وجوههم.

إذا أقيم النظام الاجتماعي والاقتصادي المعين، فإن القوانين الاجتماعية المتلائمة معه تفعل فعلها حتما، وتتصف تلك القوانين بالطابع الموضوعي مثل القوانين الطبيعية.

هذه القوانين الموضوعية تصبح مدركة ومستخدمة على نحو صائب بأكثر شمولاً بقدر ما يرتفع مستوى تطور النشاطات الخلاقة لجماهير الشعب، وبالعكس، تستخدم على نطاق أضيق بقدر ما يتدنى مستوى نشاطاتها الخلاقة نسبياً.

إذا كانت جماهير الشعب عاجزة عن إدراك واستخدام القوانين الموضوعية كما ينبغي، فإن الحركة الاجتماعية تعاني التقلبات والالتواءات والإخفاقات، وتجري على نحو أعمى دون هدف، مثل حركة الطبيعة التي تجري بغير مقصود بدون هدف واتجاه محدد.

إن السبب الرئيسي في ظهور العفوية في النشاطات الخلاقة لجماهير الشعب من أجل صنع التاريخ الاجتماعي يعود إلى تدني مستوى وعيها القادر على إدراك القوانين الموضوعية واستخدامها ووجود النظام

الاجتماعي القديم الذي يعيق نضالها الخلاق.  
بقدر ما ترتفع استقلالية جماهير الشعب وإبداعيتها ووعيتها، تناضل  
بأكثر نشاطا بعد وضع هدف عال لتحويل الطبيعة والمجتمع بأوسع  
نطاق وبأكثر علمية.  
وبقدر ما يزداد الدور الخلاق لجماهير الشعب، يتضاءل نطاق  
العفوية في الحركة الاجتماعية، وتتغير الطبيعة والمجتمع أكثر فأكثر  
من قبل النشاطات الهادفة والواعية لجماهير الشعب.  
حينما يزداد الدور الخلاق لجماهير الشعب، تنصرف الحركة  
الاجتماعية قدما حسب قوانينها الموضوعية دون أي إخفاق أو تقلب أو  
التواء، ويتطور المجتمع باستمرار، حسب رغبة جماهير الشعب  
وإرادتها.

# الطريقة الأساسية لشق المصير

قصة عن مصير الإنسان على وشك الانتهاء الآن. ولكن في الختام، نود أن نتحدث عن الطريقة لشق مصير الإنسان بنجاح في الوقت الحاضر.

كان الناس يعيشون لقرون طويلة من التاريخ، دون أن يدركوا أصح الطرق لشق مصيرهم. ولكن في القرن الماضي بالذات، حقق الإنسان التغيرات والإبداعات الدهرية، وراح يحسن حالته باستمرار.

إن سياق نضال الإنسان للإطاحة بالنظام الاجتماعي القديم والقضاء على كل العوامل لتقييد استقلالية الجماهير هو سياق تاريخي أتى بتحول جذري في مصير الإنسان.

طبعاً إن كل الحركات الاجتماعية التي قامت بها جماهير الشعب في الفترات الماضية نضالات هادفة إلى شق مصير الإنسان، لكنها لم تأت بتحول جذري.

ولكن من خلال النضال التنظيمي لحماية الاستقلالية وتحقيقها، حدث تغير جذري في تحقيق استقلالية جماهير الشعب، ووقع تحول في شق مصير الإنسان أيضاً.

بغية شق مصير الإنسان، من المهم أن يعرف المرء جيداً الطريقة الرئيسية لشق مصيره. كل المواضيع التي تحدثنا عنها حتى الآن يعود هدفها النهائي إلى الإدراك الصائب للطريقة الرئيسية وشق المصير بنجاح. طبعاً إن النضال الرامي إلى شق المصير تجري في كل بلد من البلدان وفي كل أمة من الأمم وفي كل الميادين، ولذلك، تكون الطرق المشخصة أيضاً بموجب ذلك متنوعة. ولكن هناك ثمة طريقة أكثر عموماً يجب الالتزام بها في كل الأوصدة والأحوال، ألا وهي الموقف والمبدأ الأساسي اللذان ينبغي التمسك بهما في صنع الثورة والبناء.

## ينبغي الالتزام بالموقف المستقل

يكون ثمة شيء محرم في إجراء الثورة والبناء لجماهير الشعب. ذلك هو فكر الناس العدمي القومي للاستخفاف ببلدهم وأمتهم واحتقارها باختيار ذاتهم.

بكلام سهل الفهم، يعني فكر تقليل نفسه للآخر والسعي إلى العيش على حساب الآخر، والاستخفاف بكل ما هو يخصه، وتقدير ما هو شيء خاص بالآخر شيئا طيبا بالضرورة.

ولذلك، نقول إن المرء إذا وقع في التبعية للبلدان الكبيرة فإنه يصبح أبله، وإذا وقعت الأمة في التبعية للدول الكبيرة فإن البلاد تنهار، وإذا وقع الحزب في التبعية للدول الكبيرة فإن الثورة تعاني إخفاقا. إذا أرادت جماهير الشعب أن تحافظ على مكانتها كسيد الثورة والبناء، وتشق مصيرها بنجاح، فإنها لا بد أن تلتزم التزاما تاما بالموقف المستقل.

إن الموقف المستقل هو موقف أساسي لجماهير الشعب لحفظ مكانتها كسيد الثورة والبناء ومصيرها، ومطلبه الرئيسي هو ممارسة حقها كسيد الثورة والبناء وأداء مسؤوليتها كسيد.

هذا الموقف يتلاءم تماما مع المطلب الرئيسي لجماهير الشعب للعيش باستقلالية بعد التخلص من كل أنواع العبودية.

فقط حينما تقوم جماهير الشعب بالثورة والبناء بقوتها الذاتية حسب حكمها وقرارها المستقل، وبما يتفق ومصالحها، يمكنها أن تبني بنجاح المجتمع الجديد الذي تتحقق فيه استقلالية جماهير الشعب، وتأتي بتحول



جذري في شق مصير الإنسان.

يكون ثمة قول متناقض منذ القديم يقول "من يجلس على المقعدين". هذا القول يدين بسلوك منافق يتصرف بهذا الشكل أو ذاك حسب الوضع والبيئة. إن المنافق الذي يتصرف متذبذبا دون رأيه الذاتي يصبح موضع نقد الناس.

مثلما يكون الأمر هكذا في حياة الناس الأفراد، تكون أهم المسائل في إجراء الثورة والبناء أيضا هي تبني الرأي الذاتي ومعالجة كل الأمور حسب الحكم الذاتي والقرار المستقل.

في أواسط الستينات من القرن الماضي، انتقد وهاجم الانتهازيون البلدان التي لا تخضع لإرادتهم، وقالوا إن كوريا "تجلس على المقعدين".

حينذاك، قال الرئيس كيم إيل سونغ إن كلامهم هراء، وإن لنا مقعدنا الخاص، ولماذا نجلس بغير ارتياح على مقعدي الآخرين تاركين مقعدنا الخاص إلى الجانب... إن من يقولون مقترين علينا نحن الذين نجلس على مقعدنا الصائب الخاص واصفين أننا جالسون على المقعدين هم بالذات من دون ريب جالسون على المقعد اليساري أو اليميني المعقوف. حقا إن ذلك كان قولاً ماثورا ينطبق تماما على من كانوا يفترون على كوريا.

من يفتر إلى الموقف المستقل، تصاب قدرة تفكيره المستقل بالشلل، ولا يميز الصواب من الخطأ.

هذا يجد تعبيراً عنه في السعي إلى حل مسألة بلده بالاعتماد على الآخرين دون حلها بقوته الذاتية على مسؤوليته.

حين كان الرئيس كيم إيل سونغ في قيد الحياة، طلب بإلحاح للشعب

الكوري ضرورة عدم نسيان قنبلة "يونكيل" أبدا حتى يتم انتصار الثورة الكورية. أما قنبلة "يونكيل" فهي رمانة محلية الصنع صنعها رجال جيش حرب العصابات بأيديهم في مشغل تصليح الأسلحة في منطقة حرب العصابات في فترة النضال المسلح المناهض لليابان. أثبتت هذه الرمانة جبروتها الهائلة خلال المعارك مع الاعداء ومنذ تلك الفترة، أصبح هذا الاسم معروفا على نطاق واسع.

زما ما في تلك الفترة، خطط الكوريون المقيمون في تشينتاو لبناء مصنع القنابل اليدوية في منطقة حرب العصابات، وطلب من بلد آخر مساعدتهم. لكن ذلك البلد لم يكن يعطي أي جواب على ذلك. هذا الصمت البارد الذي أبداه الأجانب أعطى للثوريين الكوريين الذين فكروا أن مساعدة البلد المنتصر في الثورة أولا للثوريين الذين لم يستولوا بعد على السلطة هي الواجب الأممي اللائق، اضطرابا فكريا وروحيا.

لكن القائد كيم إيل سونغ اتخذ حادثة رجال تشينتاو الذين طلبوا بسخافة مساعدة بلد آخر كفرصة حاسمة لتبني الروح الثورية للاعتماد على القوى الذاتية في صفوف الثورة، وثقف جميع مقاتلي جيش حرب العصابات والجماهير الثورية ليحملوا بثبات الموقف الداعي إلي أن الاعتماد على القوى الذاتية هو وحده سبيل لعيشهم. وفي سياق ذلك، ظهرت هكذا "قنبلة يونكيل".

ولو لم يعتمدوا على القوى الذاتية، منتظرين بناء مصنع القنابل اليدوية من قبل بلد آخر، وناضلوا معلقين آمالا على بلد آخر، دون التفكير في صنع الأسلحة مثل قنبلة يونكيل بقوتهم الذاتية، فلم يستطيعوا أن يفوزوا بالنصر العظيم في النضال المسلح المناهض لليابان. أهمية

قنبلة يونكيل في الثورة الكورية تكمن في توفير تقاليد الاعتماد على القوى الذاتية، التي تسود كل مجاري تاريخ الثورة الكورية.

لا بد لكل مرء أن يحل كل المسائل المعروضة في الثورة والبناء دائما على مسؤوليته، وههنا بالذات، توجد طريقة رئيسية لشق المصير.

عبر التاريخ، بدأت التبعية للدول الكبيرة تظهر في كوريا من قبل حكام سيلا في أواخر عهد الممالك الثلاث، ومنذ نهاية سلالة كوريا الملكية الإقطاعية (١٣٩٢ - ١٩١٠)، استفحلت هذه التبعية مما ألحق أضرارا جسيمة بتطور البلاد والأمة. كان الحكام الإقطاعيون يتملقون ويتوددون في الخارج للدول الكبيرة، ويقضون الأيام في الداخل بالتنازع الفئوي، وحين مدت اليابان والدول الرأسمالية الأوروبية والأمريكية الكبرى براثن عدوانها إلى كوريا، سعى كل من الحكام الإقطاعيين الكوريين مسعورين إلى حفظ حياتهم الحقيمة بجر القوى الخارجية إليهم، دون السعي إلى الاعتماد على قوى شعبهم. وإذا كان لأنصار اليابان اليد الطويلة فإن الجيش الياباني كان يحرس البلاط الملكي، وإذا كان أنصار روسيا يتصرفون تصرف السيد، فإن الجيش الروسي كان يحرس ملك كوريا، وإذا رفع أنصار تشينغ في الصين رؤوسهم، فإن جيش بلد تشينغ يحرس قصر الملك. فقد صار مصير البلاد والأمة على وشك الانهيار من دون شك، ما دامت حراسة قصر الملك أيضا متروكة في أيدي جيوش البلدان الأخرى. ففي عام ١٩٠٥، اغتصبت اليابان من كوريا حق الدبلوماسية، وتحولت كوريا حقا وفعلا إلى مستعمرة لليابان، وطوال أربعين سنة ونيف منذ تلك الفترة، اضطر الكوريون إلى معاناة حزن فقدان الدولة.

توجد في تاريخ البلدان الأخرى أيضا تلك الدروس المريرة لانهيار

مصير البلاد والأمة نتيجة للاعتماد على قوى الآخرين.  
تعلمنا تجارب التاريخ ودروسه أنه إذا أراد أي بلد أن يشق مصيره  
بنجاح فمن واجبه أن يحل دائما كل المسائل المعروضة على طريق  
صنع مصيره بأذهانه وعلى مسؤوليته التامة.  
ولذلك، قال القائد المحترم كيم جونج وون إن شعبنا قد تعلم طريقة  
العيش بقوته الذاتية، وطريقة التغلب على العدو والصعاب، وطريقة الدفاع  
عن كرامته وحقوقه، في أقصى الظروف الطويلة الأمد التي لم يعرفها  
التاريخ من قبل، وأوضح أن إيماننا الثوري الصامد هو الدفاع عن كرامة  
البلاد والنصر على الإمبريالية، عن طريق إنماء قدرتنا الوطنية حتما حتي  
ولو بشد الاحزمة علي البطون، وإغناء بلدنا وازدهاره بقوتنا الذاتية.  
إن الطريقة الرئيسية لشق مصير الإنسان هي بالذات معالجة كل  
المسائل المعروضة في الثورة والبناء حسب الحكم والقرار المستقل  
وحلها على المسؤولية الذاتية.

## يجب التمسك بالموقف الخلاق

إذا أرادت جماهير الشعب أن تشق مصيرها بنجاح، فمن واجبها أن  
تتمسك بالموقف الخلاق بعد نبذ الجمود العقائدي تماما.  
إذا كان الموقف المستقل هو الموقف لحفظ مكانة سيد الثورة والبناء  
فإن الموقف الخلاق هو الموقف لأداء دور السيد.  
إن الموقف الخلاق هو موقف جماهير الشعب لأداء دورها بكونها  
محول الطبيعة والمجتمع وصانع مصيرها، ومطلبه الرئيسي هو حل  
كل المسائل بطريقة خلاقة بالاعتماد على القوة الخلاقة لجماهير

الشعب، بعد وضع الثقة في قوتها الخلاقة التي لا ينضب معينها. هذا هو موقف، بأدق تعبير، يدعو إلى حل كل المسائل المعروضة في الثورة والبناء بالاعتماد على القوة الخلاقة لجماهير الشعب، وبما يتلاءم مع الوضع الواقعي لبلده. طالما أن الثورة والبناء هما عمل جماهير الشعب الذي يهدف إلى تحويل الطبيعة والمجتمع، لا بد من إطلاق قوتها الخلاقة إلى أبعد الحدود من كل النواحي من جهة، ومن جهة أخرى، ينبغي القيام بذلك العمل بما يتلاءم مع وضعها المشخص، بغية إجادة صنع الثورة والبناء.

إن مذكرات الرئيس كيم إيل سونغ "في دوامة القرن" أثارت أصداء عاصفة من أبناء الشعب الكوري وشعوب العالم فور صدورها. لأن هذه المذكرات استولت على قلوب الناس بقدرتها التأثيرية الكبرى. كتب الرئيس كيم إيل سونغ في مقدمة هذه المذكرات أنه يأمل أن تقدم هذه المذكرات الحقيقة للأجيال الشابة، وأن تكون لهم درسا في الحياة والنضال، وأن يدركوا أن من يثق بالشعب ويعتمد عليه سيكسب كل شيء، وسيخرج ظافرا على الدوام، أما من يبتعد عن الشعب أو من ينبذه الشعب فإنه سيعانى آلاف الهزائم.

من أبناء الشعب، يبرز المناضلون ومشاهير الشخصيات من أصحاب الذكاء والمهارة، وتوجد وسط الشعب الفلسفة والاقتصاد والأدب أيضا.

يكون ثمة مثل كوري قديم يقول "لا قائد بلا عسكر". يعني هذا المثل أن الإنسان لا يصبح قائدا بوحده. تكمن في هذا المثل حقيقة واحدة. طبعاً إن هذا المثل أيضا شأنه شأن الأمثال الأخرى لا يتحدث عن أي مبدأ من مبادئ الثورة، بل إنه يتحدث عن أحد دروس الحياة الذي

اختبره الناس خلال حقبة طويلة من حقب التاريخ.

في الأيام الماضية أيضا، كان الناس الكثيرون يبحثون على غرارهم أين توجد قوة قادرة على حل الخلاف الاجتماعي، لكنهم لم يستطيعوا أن يوضحوا ذلك، للافتقار إلى وجهة النظر العلمية حول العالم. إن القوة التي يجب الاعتماد عليها في الثورة والبناء هي القوة الخلاقة لجماهير الشعب، وليس ثمة أمر مستحيل، حينما أطلق الذكاء والقوة الخلاقة لجماهير الشعب إلى أبعد الحدود.

إن لجماهير الشعب قوة لا تنضب لتنفيذ الثورة والبناء. إذ أن جماهير الشعب هي كائن أكثر قوة وذكاء في الدنيا. ليس ثمة كائن أكثر ذكاء من جماهير الشعب. ليس ثمة من يثق بهم الثوريون ويعتمدون عليهم دائما ما عدا أبناء الشعب، وعند إطلاق قوة وذكاء جماهير الشعب فقط، يمكن حل أي مسألة صعبة معروضة في الثورة والبناء بكل نجاح.

أكبر الدروس المستخلصة من الثورات الفاشلة حتى الآن هي عدم استنهاض قوة وذكاء جماهير الشعب على نحو صائب، وأهم التجارب التاريخية المكتسبة في الثورات المنتصرة ما هي إلا تجارب محصول عليها في استنهاض جماهير الشعب.

إذا كان ثمة دواء قاتل بالنسبة للشعب الذي يصنع الثورة والبناء، فإنه الجمود العقائدي لا غيره.

إن الجمود العقائدي هو طريقة تطبيق النظريات الجاهزة كما هي عليه أو تقلد تجارب الآخرين آليا دون أخذ الظروف الواقعية في بلده بعين الاعتبار.

إذا تحدثنا بالمجاز، فإن الجمود العقائدي يعني ابتلاع المرء طعاما

في لقمة واحدة دون أن يمضغه للتأكد مما إذا تناسب مع ذوقه أم لا .  
بعد حرب التحرير الوطنية مباشرة، كان قطاع البناء في كوريا يهدر  
قدرا هائلا من الأيدي العاملة والمواد، في تنفيذ مشاريع بناء المجاري،  
لأنه قلد تصاميم البلد الآخر، حتى حفر موقع أنابيب المجاري بعمق  
خمسة إلى ثمانية الأمتار، رغم أن ظروف كوريا الجوية كانت تسمح  
بحفر نحو ثلاثة الأمتار.

ذات مرة، زار أحد الكوادر بلدا آخر، ورأى مزاولة الزراعة في  
ذلك البلد، وبعد أن عاد إلى الوطن، اقترح بإدخال طريقة الدورة  
الزراعية في كوريا أيضا.

في ذلك الحين، قال الرئيس كيم إيل سونغ لذلك الكادر إن بلدا  
فسيحة أراضيهم مثل ذلك البلد يمكنه أن يزاول الزراعة بهذه الطريقة،  
لكن بلدنا قليلة أراضيهم الزراعية لا يستطيع أن يفعل كذلك، وإذا قبل  
بلدنا تلك الطريقة في الزراعة، فإن أبناء الشعب قد يموتون جوعا. ومن  
أجل جعل أبناء شعبنا يعيشون برخاء على طعام جيد، من واجبنا أن  
نزاول الزراعة بما يتلاءم مع وضع بلادنا. لا بد من مزاولة الزراعة  
في بلدنا بطريقة تخصيص الحقول بإكسائها بتراب جديد. هكذا، نبه  
موقفه الجمودي العقائدي.

قبول أشياء الآخرين كما هي عليه دون أخذ واقعه الخاص بعين  
الاعتبار هو سبيل إلى الدمار. ولذلك، لا بد من حل كل المسائل بما  
يتلاءم مع الظروف الواقعية لبلده عند القيام بالثورة والبناء. كل بلد وأمة  
يختلف من أحد لآخر من حيث تاريخ عيشه ومستوى تطور اقتصاده  
وظروفه الطبيعية والجغرافية، ومستوى وعي أهله ونفسياتهم وعاداتهم  
وأسلوب حياتهم. بالتالي، لا تنطبق أية وصفة طبية على كل البلدان

والأمم. فمن الواضح أن أي بلد لا يستطيع أن يشق مصيره بنجاح بمجرد قبول النظريات الجاهزة وتجارب الآخرين كما هي عليه دون ترو بغير أن يرى الواقع المتطور وظروفه الواقعية. إن الواقع ليس سويا على الدوام مع النظرية.

حينما يعرف المرء كيف يطبق النظرية على الواقع المشخص، يمكنه أن يحل المسائل الناشئة على وجه الرضا. تجارب ونجاحات الآخرين أيضا لا تكون مجدية إلا عندما تستخدم بعد تحويلها وتغييرها بما يتناسب مع الواقع الملموس، طالما أن ظروف اكتسابها ووضعها الخاص مختلفة. وبعبارة أخرى، ينبغي حل كل المسائل على نحو خلاق.

إن حل كل المسائل على نحو خلاق واقفا الموقف المستقل هو حقيقة اكتشفها الرئيس كيم إيل سونغ في الفترة الأولى من انطلاقه إلى طريق النضال لاسترجاع الوطن، وذلك هو إحدى نقاط انطلاق إبداعه لفكرة زوتشيه. في تلك الفترة، كان القوميون الكوريون سعوا كل السعي لنيل الاستقلال بالحماية من بلد كبير وبالاستفادة من قوته، منهمكين في النزاع على السلطة، دون أن يسعوا إلى استنهاض جماهير الشعب إلى النضال ضد الإمبرياليين اليابانيين. كانت نفس الحالة تنطبق على الشيوعيين الأوليين أيضا. ادعى كل منهم بأن فنته فئة أصيلة في كوريا، وحاول كسب ثقة الكومنترن.

قال الرئيس كيم إيل سونغ في مذكراته إنه قام بتحليل وقائع الحركة القومية والحركة الشيوعية الأولية في بلادنا، وأحس بعمق بأن الثورة لا يمكن صنعها بتلك الطريقة، وأصبح يملك إيمانا بأن الثورة يجب القيام بها بالاعتماد على قوة الشعب وعلى مسؤوليته التامة، وعندئذ فقط



يمكن كسب النصر فيها، وينبغي حل كل المسائل المعروضة في الثورة على نحو مستقل وخلاق.

بما أن الشعب الكوري كان يناضل بذلك الإيمان، استطاع أن يحقق القضية التاريخية لتحرير الوطن، وأتى بتحول كبير في شق مصير الأمة.

ضرورة حل كل المسائل المعروضة في الثورة والبناء على نحو مستقل وخلاق هي حقيقة أثبتتها التاريخ وطريقة رئيسية لشق مصير جماهير الشعب.

## ينبغي التمسك بالفكر كأساس

إن المبدأ للتمسك بالفكر كأساس إلى جانب التمسك بالموقف المستقل والموقف الخلاق هو المضمون الهام للموقف والمبدأ الرئيسيين اللذين يجب التمسك بهما في الثورة والبناء.

التمسك بالفكر كأساس في الثورة والبناء يعني حل كل المسائل عن طريق منح الأهمية الحاسمة للعامل الفكري وإعلاء دور الوعي الفكري.

بما أن الإنسان هو كائن ذو وعي، وإن فكر الناس المستقل يؤدي الدور الحاسم في النضال الثوري، فلا بد من التمسك الحازم بالفكر كأساس في الثورة والبناء.

إذا أرادت جماهير الشعب أن تمضي بنجاح في سلوك طريق شق مصيرها، فلا بد لها من أن تمنح أهمية حاسمة للعامل الفكري في الثورة والبناء.

ذلك يعني إبراز العامل الفكري عاملا حاسما يقرر انتصار الثورة من بين العاملين المادي والفكري اللذين يفعلان فعلهما في الحركة الثورية.

ماذا يبين انتصار كوريا في حرب التحرير الوطنية التي يمكن اعتبارها مواجهة بين البندقية والقنبلة الذرية؟

يبين هذا الانتصار بوضوح أن العامل الرئيسي للانتصار في الحرب يكمن في قدرة الجنود الفكرية والروحية، لا في عدد القوات المسلحة أو الأعتدة القتالية والتقنية.

طبعاً إن العامل المادي في الحرب وغيرها من الثورة والبناء يفعل فعله الكبير، والقوانين الموضوعية أيضاً تعمل عملاً هاماً.

لكن كل النجاحات لا تتحقق تلقائياً من قبل العامل المادي، ولا تعمل القوانين الموضوعية أيضاً من تلقاء ذاتها. كل ذلك يتحقق ويعمل من خلال نشاطات الإنسان.

يؤدي الفكر الدور الحاسم في تحفيز نشاطات الإنسان، وفي نهاية المطاف يكون العامل الحاسم في الثورة والبناء هو العامل الفكري، لا العامل المادي.

عادة يقول الناس إن المعجزة قد حدثت، حين وقع تحول درامي في مصير الإنسان. إذن، كيف تحدث المعجزة؟ إذا أريد وقوع المعجزة فلا بد من إيضاح أن المعجزة تحدث في أي حيثية وظروف، وكيف يجري سياق ذلك، والتشجيع على ذلك وتطويره بنشاط. لكن عدداً غير قليل من الناس يقفون جالسين وهم ينتظرون وقوع المعجزة بصدفة. إذن هل تحدث "لقية" مفاجئة لمن ينتظر صدفة سعيدة؟ لا يدري أحد ذلك. ليس ثمة أي ضمان لإتيان الصدفة بالمعجزة. لمن ينتظر الحظ السعيد متعلقاً

أماله على المعجزة التي تأتي بها المصادفة لا تتخصص إلا حياة فارغة  
وعديمة المعنى.

لذلك، قال الرئيس كيم إيل سونغ إن من ينتظرون الانتصار جالسين  
بهدوء لا يختلفون عن الناس الذين ينتظرون سقوط ثمار ناضجة تلقائياً  
تحت شجرة الخورمة.

إن القوة الروحية تعني بكلام واحد قوة يظهرها الفكر والروح. إن  
القوة الروحية التي نعنيها هي القوة الفكرية والروحية التي تظهرها  
جماهير الشعب في نضالها الثوري وعمل البناء من أجل تحقيق  
استقلاليتها ولأجل التطور المستقل والازدهار للبلاد والأمة. وبعبارة  
أخرى، تعني الروح المستقلة، قوة الإيمان والإرادة الثابتة لجماهير  
الشعب لشق مصيرها بقوتها الذاتية بعد التمسك به في أيديها.

لقد قال القائد كيم جونغ إيل إن القوة الروحية الجبارة لجماهير  
الشعب هي أكبر القدرات الوطنية التي تبشر بالمستقبل النير للبلاد  
والأمة. إذا كانت البلاد والأمة هي وحدة أساسية لشق مصير الناس،  
فإن مصير ومستقبل البلاد والأمة تقررهما القدرات الوطنية.

تتشكل القدرات الوطنية من العناصر الرئيسية وهي القوة السياسية  
والفكرية والقوة العسكرية والقوة الاقتصادية.

كما تحدثنا في الأعلى، يكون أهم العوامل منها هو العامل الفكري  
وبكلام آخر القوة السياسية والفكرية، القوة الروحية لجماهير الشعب.

قوة الإنسان الروحية لا تنضب، وعند إظهار القوة الروحية القوية  
لجماهير الشعب، ليس ثمة في الدنيا أمر مستحيل. ولذلك، يبرز كل بلد  
وأمة قوته الروحية الأصيلة، ويعير اهتماماً أكبر لإطلاقها إلى أبعد  
الحدود.

كان الشعب الكوري يتغلب على كل الصعاب بالقوة الروحية العظيمة لأمته ويشق مصيره بنجاح طوال فترات تطور التاريخ. قهر الإمبرياليين اليابانيين، وتحرير الوطن، وتحقيق الإصلاحات الديمقراطية بنجاح في أراضي الوطن المحررة، وإحراز النصر في حرب التحرير الوطنية لمدة ثلاث سنوات، استطاع تحقيق كلها بإظهار القوة الروحية للأمة دون تحفظ.

وإنجاز القضية التاريخية للتصنيع لمدة ١٤ سنة وحدها بعد تضييد جراح الحرب بعد الهدنة، والدفاع عن الاشتراكية والمضي بالبناء حتى وسط العقوبات والحصار المتواصلة من جانب الإمبرياليين كلها أيضا لا يمكن تصورها بعيدا عن القوة الروحية للشعب الكوري.

في أواسط التسعينات من القرن الماضي، كان الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري الناشئ أمام الشعب الكوري لم يكن مثيل له من حيث قسوته.

حين عانى الشعب الكوري الحداد الوطني الأكبر لفقدان الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ (في اليوم الثامن من تموز/ يوليو عام ١٩٩٤)، ألفت القوى المعادية على رؤوسهم أعمال العقوبات والحصار المضاعفة سياسيا واقتصاديا وعسكريا، وضغنا على إبالة، داهمتهم الكوارث الطبيعية المريعة، حتى تلتها الأزمة القاسية في نقص الحبوب الغذائية والطاقة والوقود. فلم يكن من الصدفة أن قال الناس العارفون جيدا لوضع كوريا وحتى الدول المعادية إن مجرد صمود الشعب الكوري أمام هذا الوضع سيكون معجزة من المعجزات النادرة. لكن الشعب الكوري بقيادة القائد كيم جونغ إيل بقي حيا بل إنه وفر لوحة الوثب الوطيدة لبناء الدولة الاشتراكية القوية. كان مصدر هذه المعجزة

هو بالذات القوة الروحية لجماهير الشعب. بين التاريخ أن جماهير الشعب تستطيع أن تشق مصيرها، وتحقق رخاء وازدهار بلادها وأمتها، إذا كانت تحمل القوة الروحية القوية. واليوم أيضا، يخوض حزب العمل الكوري الحملة الفكرية المشددة لتفجير القدرة الروحية لجماهير الشعب، ويحقق أحلام الشعب ومثله العليا واحدا فواحدا.

## الختام

فكر الزعيم العظيم يولد ممارسات عظيمة. بما أن الشعب الكوري وضع نفسه تحت قيادة الزعيم العظيم، ويملك فكره الحقيقي، استطاع أن يضع حدا نهائيا لتاريخ النكبات المؤلمة، وأصبح شعبا يشق مصيره على نحو مستقل وخالق.

حتى قبل قرن واحد، كانت كوريا تفقد وجودها على خارطة العالم، لكن بلد الشعب الحقيقي، كوريا الاشتراكية نهضت بشموخ على هذه الأرض، وذلك بفضل وجود السلاح المقتر الذي يسمى بفكرة زوتشيه. قدرة انتشار فكر الزعيم العظيم لا تقاوم بأي شيء. لا يمكن فرض الفكر عنوة على الناس. حين يكون ذلك الفكر يتلاءم مع متطلبات العصر ورغبات الشعب وتطلعاته ينتشر ذلك الفكر تلقائيا، لا بأوامر أحد أو فرضه.

صارت اليوم فكرة زوتشيه وجهة النظر الحقيقية للبشرية التقدمية حول العالم، التيار الرئيسي للعصر، متخلصة من نطاق بلد واحد وأمة واحدة، وتصبح سلاح النضال القوي الذي يعارض كل أنواع السيطرة والجور التي تفرض العبودية وعدم المساواة.

يعتبر الشعب الكوري أن طريق التقدم القويم الذي توضحه فكرة زوتشيه هو حقا سبيل للشعب وأصح سبيل لشق مصير الإنسان.

ولذا فإن الشعب الكوري يخوض اليوم أيضا النضال المشدد لتقريب يوم إنجاز قضية بناء الدولة الاشتراكية القوية رافعا عاليا راية فكرة زوتشيه.

## مصير الإنسان وفلسفة زوتشيه

---

تأليف : لي كوانغ إيل

تحرير: آن تشول كانغ

ترجمة: كيم بونغ نام

ناشر : دار النشر باللغات الأجنبية

جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية

إصدار: حزيران/ يونيو ١١١ زوتشيه (٢٠٢٢)

---

E- mail: flph@star-co.net.kp

<http://www.korean-books.com.kp>

ISBN 978-9946-0-2132-4



9 789946 021324 >

